

# رؤى الحياة في نهج البلاغة

حسن الصفار

الطبعة الرابعة  
(1418هـ - 1997م)

بسم الله الرحمن الرحيم

{ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا } (١).

## مقدمة

ينتمي إلى الأمة الإسلامية أكثر من مليار نسمة. تتحلّ هذه الأمة مسافات واسعة في أهم قارات العالم: آسيا وأفريقيا وبعض أوروبا، وتحظى موقعاً إستراتيجياً عظيماً.

تشرف على أكثر المحيطات والبحار العالمية كالمحيط الهندي والأطلسي والبحر المتوسط والبحر الأحمر.

تحتّم في أهم الممرّات والمضايق الاستراتيجية كقناة السويس ومضيق هرمز. تعتبر بعض دولها من أوائل الدول المصدرة للنفط كما تمتلك أكبر مخزون من بترول العالم حيث يبلغ احتياطي البترول لدى الأمة الإسلامية (٦٠%) من الاحتياطي العالمي للبترول، ولديها ثلثا من احتياطي العالم من الفوسفات.. ونسبة كبيرة من النحاس والحديد والمنغنيز.. بالإضافة إلى أراضيها الخصبة المعطاءة.. هذا وجه..

وأمام الوجه الآخر:

فلا يزال العديد من أراضي الأمة الإسلامية ترتع تحت الاحتلال الاستعماري كفلسطين والجولان وكشمير.

تقاسِم الدول الاستعمارية الكبرى النَّفُوذ في معظم الدول الإسلامية. لا تتمتع هذه الأمة بأي اكتفاء ذاتي في أي مجال من مجالات الحياة فهي تستورد السلاح والثياب والآلات واللحوم وجميع المواد الغذائية.

رغم امتلاك الأمة لتلك الثروة العظيمة، لا تزال أكثر مجتمعاتها تعيش البؤس والحرمان والفقر. فهناك ملايين العوائل تحضنهم العشيش والأكواخ.

وتستجدي الأمة حتى أبسط الخبرات والكافاءات العلمية والتكنولوجية حتى في مجال تحلية المياه والزراعة وتربية المواشي، في الوقت الذي تهاجر فيه أكثر الأدمغة والكافاءات العلمية من أبناء الأمة إلى شتى الدول الأخرى، والأرقام التالية التي وردت في ورقة صدرت مؤخراً عن التنمية البشرية في العالم العربي أعدّها المستشار الخاص لبرنامج الأمم المتحدة للتنمية تتحدث عن شيء من معاناة وما سي الشعوب المسلمة:

- فحسب الإحصائيات التي وردت في هذه الورقة فإن (15%) من العرب لا يتوقع لهم الحياة أكثر من سن الأربعين.
- (60 مليون) من العرب البالغين أميون.
- (54 مليون) عربي لا تصلهم المياه الصالحة للشرب.
- (29 مليون) عربي لا يتمتعون بالخدمات الصحية الأساسية مثل العيادات الريفية والصحة الوقائية.
- (13%) من العرب البالغين يعانون من البطالة بنسبة تفوق مثيلاتها في أقاليم أخرى.
- (50 مليون) عربي يتنشقون هواءً ملوثاً.
- (5 ملايين) طفل تحت سن الخامسة يعانون من سوء التغذية.
- (4 ملايين) طفل غير ملتحقين بالمدارس.
- نسبة وفيات الأمهات أثناء الحمل والولادة (380) لكل مائة ألف ولادة، وذلك ضعف النسبة في أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي وأربعة أضعاف النسبة في شرق آسيا.
- (50%) من النساء العربيات البالغات أميات.

- صادرات الدول العربية وعدد سكانها ( 236 مليوناً ) غير البترولية تساوي صادرات فنلندا وحدها، وعدد سكانها خمس ملايين.

- سيزيد نصيب الفرد العربي من الواردات الغذائية عام ( 2000 ) من ( 100 دولار سنوياً ) إلى ( 300 دولار ) سنوياً، وهذا يعني أنّ اعتماد العالم العربي على استيراد الغذاء سيتضاعف ثلاثة مرات.

- سُجِّل عقد التسعينات للمنطقة العربية جموداً اقتصادياً، وانخفاض دخل الفرد بحوالي ( 4.5 % ) سنوياً، وهذه نسبة فاقت نسبة الانخفاض في مختلف مناطق العالم بما في ذلك أفريقيا وجنوب الصحراء ( 1 ).

حينما ترسم أمامك هاتان الصورتان المتناقضتان.. فماذا سيكون انطباعك وموقفك؟!

لاشك أنك تصاب بد هشة بالغة لهذا الواقع الذي تعيشه الأمة، وستحاول البحث والتّفتّيش لعلك تعثر على الأسباب التي صاغت هذه المعادلة المتناقضة المدهشة!!

وسوف لا تجد أي سبب مادي يسُوغ هذا الواقع، خاصة وأن هناك أممأ أخرى تعيش معنا على وجه هذا الكوكب بإمكانيات أقل وطاقات أبسط، ولكنها تحتل مستوىً أفضل من الحياة، وتتمتع بكل مقومات التقدم والازدهار كالليابان مثلاً. أما السبب الحقيقي والواقعي لهذا التخلف العميق الذي يلف الأمة فهو عدم امتلاك هذه الأمة لبرنامج عمل ولخريطة سلوك في هذه الحياة، ولذلك فهي لا تعرف دورها ولا تدرك حجم إمكانياتها، ولا تدرى كيف يجب أن تتصرف؟؟

فهي أشبه بطفل حدث السن مات عنه أبوه وخلف له ثروة طائلة وأموالاً ضخمة، ولكنه لا يعرف كيف يتصرف في هذه الثروة ولا كيف يستثمر هذا المال، وكيف يُسعد حياته، وتدرجياً تتلاشى تلك الثروة لسوء تصرفه وتلاعبه وتبذيره، ويبقى جاهلاً فقيراً ليس له كرامة ولا كيان.

إن أي أمة تحتاج إلى رؤى معينة وبرامج خاصة تسير على ضوءها في درب الحياة، والأمة التي لا تمتلك رؤى وبرامج حياتية تبقى في قوقة الجهل وأحوال التخبّط. ويشترط في تلك البرامج والرؤى أن تكون منبثقة من واقع الأمة وتاريخها، حتى تتلامم وتفاعل معها وتكون قادرة على استشارة طاقاتها وتفجير مواهبها، وبالتالي تحريكها ودفعها للأمام.

أمّا إذا كانت تلك البرامج والرؤى مستعارة من أمم ومجتمعات أخرى تختلف في واقعها وظروفها وتاريخها عن الأمة اختلافاً جذرياً فستسبب هذه الاستعارة والاستيراد مضاعفات خطيرة وانتكاسات هائلة.

فالشخص الذي يلبس نظارة لا تنسجم مع مستوى نظره ما الذي سيحدث له؟ ببساطة ستتشوش أمامه الرؤية فقد يرى الأشياء مغلوطة أو أكبر أو أصغر من حجمها، وقد يرى الواحد اثنين أو أكثر! والأخطر من كل ذلك أنّ عينه تكون معرضة لمزيد من الضعف والمرض.. أليس كذلك؟.

ونفس النتيجة ستحصل للأمة التي تستعيّر برامج تتناقض مع أصالتها وواقعها.. حيث ستكون روئيتها للحياة حينئذ قليلة مشوّشة وغير سليمة.. وسوف لا يسبّب ذلك بقائها على حالة التخلّف فقط بل ويقضي على عوامل قوتها ويهدّر طاقاتها. وهذا هو بالضبط ما حدث للأمة الإسلامية، وهو السبب الأساسي في تخلّفها وتأخّرها.

فحينما أفاقت أجيال الأمة - أخيراً - على نفسها، وأدركت سوء واقعها وحياتها، ورأى التقدّم الباهر الذي حقّقه الشعوب الأخرى، واكتشفت الثروات الطائلة التي كانت تخبيء تحت أقدامها، عندها كانت هذه الأجيال بحاجة ماسّة إلى برنامج عمل للاستفادة من تلك الثروات الضخمة للتخلّص من واقع التخلّف وللالتحاق بركب الصناعة والمدنية والتقدّم.

والدول الاستعمارية الكبرى لا يسرّها بالطبع أن تكتشف الدول النامية طريق التقدّم والارتقاء، بل تسعي لعرقلة مسيرتها وزرع طريقها بالأشواك والعقبات لتبقى خاضعة لنفوذها محتاجة لخبراتها.

وهنا وجدها الاستعمار فرصة لا تقدّر بثمن.

فأجيال الأمة تبحث عن برنامج لحياتها، وعلى مدى سلامة هذه البرامج سيتوقف مستقبل ومصير هذه الأمة فلما ذا لا يغتنم الاستعمار الفرصة، ويقدم لهذه الأجيال الجديدة برامج ورؤى، تجعل مستقبلها كما يريد هو، وكما تقتضي مصالحه وأغراضه؟

وهذا ما وقع بالفعل.

فبالوسائل الإعلامية الضخمة، ومن خلال الجامعات والمعاهد العلمية وبالأساليب المضللة الخاضعة، قدّمت لأجيال الأمة الناشئة شتى الرؤى والبرامج والخرائط

الحياتية التي تتناقض مع أصالة هذه الأمة ولا تنسجم مع واقعها وظروفها، مما سبب حدوث هذا الخليط المتناقض والاتجاهات المتباعدة في أوساط الأمة، وجعل رؤية الأمة قلقة مشوّشة.

ولكن لماذا حدث ذلك؟؟

هل لأنّ الأمة الإسلامية لا تمتلك برامج ذاتية ولا رؤى حضارية خاصة، حتى أصبحت أبنائها بحاجة إلى استيراد برامج الآخرين وأفكارهم أم ماذا؟؟ في الواقع إنّ الأمة الإسلامية تمتلك أروع مبدأ وأضخم ثراث عرفته الإنسانية في تاريخها الطويل.

إنّ المبدأ الإسلامي والتراث الإسلامي الذي يحتوي على أفضل البرامج وأوسعها في جميع حقول الحياة حتى أنّ الإنسان ليندّهش كثيراً من ضخامة هذا التراث وثرائه، واستيعابه لكلّ جوانب الحياة والنشاط الإنساني، ولو أنّنا قمنا بجولة علمية في ربوع تراثنا العظيم لوجدنا فيه كلّ البرامج المطلوبة وفي جميع المجالات.

ففي كتاب واحد من كتب التراث الإسلامي اسمه [وسائل الشيعة] يوجد (4082 حديثاً) حول العلاقات الزوجية فقط، و(2429 حديثاً) حول طريقة الأكل والشرب، و(464 حديثاً) حول السباحة ونظافة الجسم، و(82 حديثاً) حول تنظيف الأسنان فقط! و(744 حديثاً) حول الملابس والثياب، و(2038 حديثاً) حول التجارة، وهكذا سائر المجالات والتفاصيل في شؤون الحياة.

ولكن هذا التراث الضخم العظيم يعاني من عدّة مشاكل جعلته عاجزاً عن تلبية مطالب الأمة في العصر الحديث، وبذلك حرمت الأجيال الجديدة من نعمة هذا التراث وثرائه.

فما هي هذه المشاكل؟

- ١ - إنّ التراث الإسلامي من حيث الصياغة والأسلوب متأثر بظروف نشأته وزمان انتشاره، فهو بحاجة إلى التجديد في الصياغة وتحديث الأسلوب في كلّ عصر بما يتلاءم ومعطيات ذلك العصر، وهذا ما لم يتوفّر لتراثنا العزيز في هذا العصر.
- ٢ - ومن ناحية الإعلام والنشر يعاني تراثنا من فقر مدقع في هذا المجال.

٣ - هناك بعض رواسب التعصب الطائفي والميول السياسية لا تزال تقف حاجزاً دون الاستفادة من هذا التراث العظيم.

وستبقى أجيالنا تحس بالفراغ وال الحاجة إلى أفكار الآخرين، وستظل الفرصة متاحة أمام الاستعمار لينفذ من خلالها إلى عقولنا وأذهاننا.. إلى أن نصّم على العودة إلى تراثنا الإسلامي ودراسته دراسة علمية جادّة، لنستخلص منه البرامج التي تحتاج إليها في مشوار الحياة. ويأتي في طليعة التراث الإسلامي كتاب [نهج البلاغة] الذي يحتوي على مجموعة رائعة من خطب ورسائل وكلمات الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

ورغم أنّ [نهج البلاغة] حظي بكثير من الاهتمام من قبل الشرّاح والمؤرّخين، ولكنه لم يزل في حاجة للدراسة الموضوعية التي تستخرج منه رؤى متكاملة وبرامج مفصلة، تملأ هذا الفراغ الخطير الذي تعاني منه أجيالنا، وتكون قادرة على توجيه الأمة ودفعها في طريق التقدّم والازدهار.

وهذا الكتاب هو مجموعة من المحاضرات ألقيت على ثلاثة من الشباب والملتحقين أثناء عطلة (١٩٧٧) في محاولة لدراسة [نهج البلاغة] دراسة موضوعية متكاملة. أرجو أن أوفق لمواصلة هذه الدراسة كما أرجو أن تكون محفزة لمفكري الأمة من أجل تعميق هذه الدراسات وتعديلها.

والله ولي التوفيق.

حسن الصفار

الإمام علي (ع) ونهج البلاغة

يقول الإمام علي (عليه السلام):

"أيها الناس: إني قد بشرتكم الموعظ التي وعظ الأنبياء بها أممهم، وأدّيت إليّكم ما أدّت الأوّصياء إلى من بعدهم، وأدّبتكم بسوطِي فلما تُستقيموا، وحدّتونكم بالزواجر قلماً تستوسقوا."

الله أنتم.. أتتوقعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السبيل؟" (١).

أرى أنه من اللازم علينا قبل الدخول في دراسة مواضيع [نهج البلاغة] أن نتوقف قليلاً لنلقي أصواته كاشفة على حياة الإمام التي انعكست ولاشك على نهجه، وعلى [نهج البلاغة] وأهميته وقضاياها.

أما الإمام فطاماً سمعنا عن حياته التاريخية كولادته وحربه ومقتله، وسمعنا عن معاجزه وفضائله، ولكن الشيء الذي لا نسمع عنه كثيراً، هو الجوانب النضالية والرسالية من حياة الإمام.

فإِلَمَ يَوْمَ كَانَ شَابًاً وَيَوْمَ أَصْبَحَ كَهْلًا، وَبَعْدَ أَنْ تَخْطُّى مَرْجَلَةَ الْكَهْوَلَةِ.. مَا هِيَ أَبْرَزُ مَلَامِحَ حَيَاتِهِ فِي كُلِّ مَرْجَلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاحِلِ حَتَّى نَقْتَدِي بِهِ؟  
الإمام شاباً:  
في مرحلة الشباب كانت أهم سمات حياته:

أولاً - التفتح: وأعني به الاستعداد لتقبل الرأي الجديد وال فكرة الحديثة، ومسارعته للعمل التغييري غير متقييد بتقاليد المجتمع ولا مبالٍ بطريقة الآباء والعائلة، فما دام الرأي الجديد حقاً، وال فكرة الحديثة صحيحة، فيجب المبادرة لاعتناقها والعمل من أجلها. وهذا ملحوظ في سرعة تقبل الإمام للإيمان ومبادرته في العمل من أجل الإسلام في أول لحظة من دعوة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، لذا اعتبر العلماء أنَّ من أبرز خصائص الإمام علي (عليه السلام) سبقه للإسلام والصلة مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حيث توالت الروايات الصحيحة بذلك.

وقد أورد الإمام الحافظ النسائي (توفي: 303هـ) عدّة روايات في أول فصل من كتابه [خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب]، ومن طرق عديدة حول هذه الخصيصة.

وعن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أنه قال: "أولكم وروداً على الحوض أولكم إسلاماً على بن أبي طالب" (2).  
وعن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وهو آخذ بيده علي يقول: "أنت أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيمة" (3).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) قال: "بعث رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء" (4).

وحينما سُئل: يا علي هل استشرت أبيك عندما آمنت بِمُحَمَّدٍ؟ أجاب: وهل استشار الله أبي حينما خلقني؟ (5).

ثانياً - الطموح: فالإمام م يكن يفكّر حينما كان شاباً في مستقبله الشخصي وكيف يُنهي دراسته ويتحصل على وظيفة ويحظى بزوجة جميلة ويتوفر له سكن مريح - كما يفكر أكثر شبابنا حالياً! إنما كان الإمام يفكّر في مستقبل رسالته وفي أوضاع أمته، وكان لديه طموح كبير أسمى من الطموح الشخصي، كان طموحه أن يكون الرجل الثاني في قيادة العالم نحو السعادة والتقدم رغبة في رضوان الله وثوابه. فمنذ البداية، وحينما أمر الله تعالى نبيه محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بإذار عشيرته، بقوله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (٦) دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بني عبد المطلب، وهم يومئذ أربعون رجلاً وبعد أن قدم لهم الطعام قام قائلاً: يا بني عبد المطلب إني أنا النذير إليكم من الله عزّ وجلّ والبشير فأسلموا وأطعوني تهتدوا. ثم قال: من يؤاخيني ويؤازري ويكون وليري ووصيي بعدي وخليفي في أهلي ويقضي ديني؟ فسكت القوم فأعادها ثلاثة كل ذلك يسكت القوم ويقول علي: أنا. فقال في المرة الثالثة: أنت (٧).

ثالثاً - الثقة بالنفس: فرغم أن الإمام كان حدث السن وكان يعيش في مجتمع يحتل فيه العمر والهيكل مكانة سامية، إلا أن الإمام اخترق هذا الحاجز وتمرد على هذه القيمة الجاهلية - قيمة السن والهيكل - ومارس ثقته بنفسه. فمثلاً في واقعة الخندق لما برع عمرو بن عبد ود الفارس المشهور من بني عامر بن لؤي وتخوف الناس من مبارزته، نادى الرسول الأعظم: من منكم يبرز لعمرو؟ فقام علي وقال: أنا يا رسول الله، فقال له النبي: إنه عمرو! قال: وأنا علي (٨).

وفي مرحلة الكهولة:

وبعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان من المفترض أن يتولى الإمام علي (عليه السلام) قيادة الأمة وإدارة شؤونها كإمام وخليفة نصّ عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مواقف وموارد عديدة كحادثة غدير خم المشهورة؛ إلا أنّ ما حدث هو صرف الخلافة عن الإمام علي ومباعدة غيره في سقيفةبني ساعدة بينما كان الإمام مشغولاً بتجهيز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يعترض الإمام في البدء بما حدث وامتنع عن البيعة لكنه لما رأى أنّ إصراره على المطالبة بحقّه في الخلافة يهدّد بخطر انقسام الأمة ويتتيح الفرصة للقوى المعادية

لِلْإِسْلَامِ، آثَرَ مُصْلَحَةَ الرِّسَالَةِ وَسَكَتَ عَنْ حَقِّهِ وَبَايَعَ مِنْ تَوْلِيَّاً أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ، يَقُولُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

"أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً - (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) - نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَمُهِيمِنًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ، قَلَّمَا مَضَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِي، أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعَجُ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ - (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) - عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا أَنَّهُمْ مُنْحَوْهُونَ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ! فَمَا رَأَيْتُ إِلَّا إِنْشِيَّالُ النَّاسِ عَلَى قُلَّانِ يُبَايِعُونَهُ فَأَمْسَكْتُ بِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسَ قَدْ رَجَعْتُ عَنِ الْإِسْلَامِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِّ دِينِ مُحَمَّدٍ - (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) - فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْمًا أَوْ هَدْمًا، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمُ مِنْ فَوْتٍ وَلَا يَتَكَمُّ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَّلَ" (9).

وَقَدْ حَاوَلَ الْبَعْضُ دُفَعَ الْإِمَامَ وَتَحْرِيَضَهُ عَلَى التَّصْدِيِّ لِلْخَلَافَةِ كَحْقِ شَرْعِيِّ لَهُ، وَلَكِنْ بَصِيرَةُ الْإِمَامِ النَّافِذَةُ وَإِخْلَاصُهُ لِلْمُصْلَحَةِ الْعَامَّةِ جَعَلَتْهُ أَسْمَى مِنَ الْاسْتِجَابَةِ لِذَلِكَ التَّحْرِيَضِ.

يُروي ابن الأثير في [تاریخه]: أنّ أبا سفيان أقبل وهو يقول: إني لأرى لجاجة لا يطفئها إلا دم، يا آل عبد مناف فیم أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعفان؟ أين الأذلان علي والعباس؟ ما بلال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟.

ثُمَّ قال لعلي: أبسط يدك أبا يعك فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً. فأبى علي وزجره وقال: والله ما أردت بهذا إلا الفتنة وإنك والله طالما بغيت للإسلام شرّاً لا حاجة لنا في نصيحتك (10).

وَقَدْ وَقَفَ الْإِمَامُ إِلَى جَانِبِ الْخَلْفَاءِ الْمُلْكِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانَ وَأَبِي عَمَّانَ نَاصِحًا وَمُشِيرًا وَمُسَدِّدًا حِيثُ كَانُوا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي عَوِيْصَاتِ الْمَسَائِلِ وَمَهِمَّاتِ الْمَشَاكِلِ فَيَجِدُونَ لَدِيهِ الْعِلْمُ الْغَزِيرُ وَالرَّأْيُ الصَّائبُ وَالحَلُّ النَّاجِعُ. حَتَّى اشْتَهَرَ عَنْ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَابِ قَوْلُهُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَعْضَلَةِ لِيْسَ لَهَا أَبُو حَسْنٍ عَلَيْ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (11).

فَهُوَ لَمْ يَنْكُفِيْ عَلَى نَفْسِهِ وَلَمْ يَعْتَزلِ السَّاحَةَ وَلَمْ يَنْتَقِمْ لِحَقِّهِ بِكَفِّ يَدِ الدَّعْمِ وَالْمَسَاعِدَةِ عَمِّنْ تَوْلِيَ الْخَلَافَةَ.

المحطة الأخيرة:  
وحينما غزت الشّيخوخة جسم الإمام:

أُتيحت له فرصة قيادة الأمة بعد أحداث وأحداث، وأعطى في فترة خلافته القصيرة النّمودج الأعلى للحاكم المثالي، حيث التزم بتطبيق أحكام الإسلام وتجسيد مبادئه العادلة مهما كلفه ذلك من مصاعب ومشاكل، ولم يقبل بسلوك طريق الوصولية "الميكافيلية" ، فقد رفض التعامل مع المصلحين أمثال طلحة والزبير ومعاوية، على حساب مصالح الأمة، كما مارس العدالة الاجتماعية في أروع صورها، فلم يؤثر قريباً ولم يجامِل صديقاً.

ماذا عن [نهج البلاغة]:

هذه لمحَّة خاطفة عن حياة الإمام، فماذا عن [نهج البلاغة]؟.. الإمام لم يكن مجرد حاكم يصدر قرارات ويفرض على الشعب تنفيذها، وإنما كان صاحب رسالة وحامل مبدأ، يهمه أن يعي الشعب رسالته وأن يفهم مبادئه، ولذلك كان يهتم بتوجيه الجماهير عن طريق الخطب والرسائل والوصايا والتعاليم، وكان يغدو الولاة والعاملين في جهاز حكمه بنصائحه وتوجيهاته التربوية ليقوموا بدورهم القيادي على خير وجه. مما وفر للأمة ثروة ضخمة من توجيهات الإمام علي وتعاليمه.

ورغم أن السُّلطات التي تعاقبت على الحكم كانت تحارب تلك الثروة وتحظر انتشارها، إلا أن كمية كبيرة تجاوزت تلك الظروف ووصلت إلى أجيال الأمة بشكل مفرق متناشر. وفي أواخر القرن الرابع من الهجرة فكر الشَّريف الرضي (رحمه الله) في جمع هذه الثروة وحفظ هذا التراث، ولكنه لاتجاهه الأدبي اهتم بجمع الكلمات التي يطغى عليها الطابع البلاغي والأدبي، ولم يهتم كثيراً بما سواها مهما كانت قيمتها الفكرية والاجتماعية.

يقول في مقدمة [نهج]: " وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متنسقة، ومحاسن كلام غير منتظمة، لأنني أورد النُّكت واللُّمع، ولا أقصد التَّتالي والنُّسق ".

ومن تسمية الشَّريف الرضي للنهج نستشف ميوله الأدبية واتجاهه البلاغي، فكلمات الإمام علي تفيض بالحيوية، وتبين بالرسالية والنضال والكفاح وكان يمكن أن تسمى بـ [نهج الحياة] أو بـ [نهج النضال] أو بـ [نهج الجهاد]، ولكن ميول الشَّريف فرضت عليه اسم [نهج البلاغة] رغم أن البلاغة ليست مقصودة ولا متعلمة من خطب الإمام وكلماته، وإنما هي سليقة الإمام والهدف والقصد من كلمات الإمام هي المفاهيم الحيوية وقضايا الرسالة والنضال.

ولهذا السبب أهمل الشريف الرّضي مقاطع كثيرة من بعض الخطاب والرسائل فغالباً ما يقول في [النهج] " ومن خطبة له (عليه السلام) "، أو " ومن كتاب له (عليه السلام)" ومع ذلك لم يدع الشريف الرّضي بأنّه أحاط بكلّ كلمات الإمام البلاعية فقد صرّح بأنّه ترك في نهاية كلّ باب أوراقاً فارغة لاستدرارك ما يجده فيما بعد، وهذا نصّ كلامه:

" مفرداً لكلّ صنف من ذلك باباً ومفضلاً فيه أوراقاً لتكون مقدمة لاستدرارك ما عساه يشدّ عني عاجلاً ويقع إلى آجلًا".

والشريف الرّضي ينحدر من سلالة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهو محمد بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام).

وُلد سنة (359هـ) وتوفي سنة (406هـ) في بغداد.

وهو عالم فذّ غزير العلم واسع المعرفة، وكان نقيب الطّالبيين وزعيم الأشراف، ووالياً لإماراة الحج والمظالم.

ومؤلفاته القيمة تكشف عن مستوى الرّفيع ككتابه [حقائق التأويل]، و[تلخيص البيان في مجازات القرآن]، و[مجازات الآثار النبوية]، و[خصائص الأئمة] وغيرها. وقد جمع نصوص [نهج البلاغة] خلال ستة عشر عاماً، بدءاً من سنة (384هـ) إلى سنة (400هـ) حيث أرخ فراغه منه.

وفي الفترة الأخيرة قام أحد العلماء وهو العلامة أم حُقْق الشّيخ محمد باقر المحمودي بجهد مشكور فجمع سائر كلام الإمام فأصدر عدة مجلدات باسم [نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة] طبعت في بيروت ثماني أجزاء في سبعة مجلدات تنوّف عدد صفحاتها على ثلاثة آلاف صفحة استغرق العمل على جمعها وإعدادها خمسة عشر عاماً من قِبَل مؤلفها المعاصر (جزاه الله خيراً).

وقد احتلّ [نهج البلاغة] مكانة كبيرة من اهتمام علماء الأمة ومفكّريها فلحدّ الآن ألف أكثر من (150) شرحاً على [النهج]. كما قام كبار العلماء بتحقيقه ونشره كالإمام محمد عبد مفتی الدّيار المصري المتوفى سنة (1323هـ)، والعلامة الشّيخ عبد الحميد محى الدين، والسيد عبد العزيز سيد الأهل، والدكتور الشّيخ صبحي الصّالح، وأخيراً الأديب المسيحي جورج جرداق، والذي طبع مختاراته من [نهج البلاغة] تحت عنوان [روايات نهج البلاغة] مقدماً لها بدراسة أدبية واسعة.

أهمية [نهج البلاغة]:

لأنّ لا نسمع من [نهج البلاغة] إلاّ كلمات التّزهيد وخطب الوعظ والتّحذير من الموت والآخرة نسمعها في مجالس العزاء وفي فواتح الموتى، لذلك ينظر أكثر الشباب إلى [نهج البلاغة] ككتاب تشاوئي يصلح لفواتح الموتى ومواقع القراء!

أمّا في الحقيقة ف[نهج البلاغة] تراث عظيم وثروة ضخمة تبرز أهميته في النقاط التالية:

١- إنّه مصدر هام للكشف عن مفاهيم الإسلام وأرائه في جميع حقول الحياة، فمن مبادئ الأخلاق إلى قوانين الحرب إلى تعاليم إدارية وسياسية إلى رؤى اجتماعية واقتصادية.

٢- إنّه مرآة صادقة تعكس لنا الكثير من أحداث القارن الإسلامي، فهو بمثابة مذكّرات رجل عاش الأحداث وشارك في صناعتها.

٣- وهو بعد ذلك ثروة أدبية يفيض بالبلاغة والدّوقة الرّفيع حتى قيل عنه أنّه: "دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق".

حملة مغرضة:

يلاحظ في الفترة الأخيرة أنّ هناك حملة مغرضة من الشّويه تستهدف [نهج البلاغة] ففي (عدد مايو ١٩٧٥م) طالعتنا مجلة [الكاتب] المصرية بمقال للأستاذ محمود محمد شاكر يتهمّ فيه على [نهج البلاغة] ويُدعى أنّه مزيّف على الإمام. وبعدها بفترة بسيطة خرجت مجلة [الهلال] المصرية بمقال آخر في (عدد ديسمبر ١٩٧٥م) للدّكتور شفيق السيد يتناول نفس الموضوع.

وأخيراً جاء في مجلة [العربي] الكويتية مقال للدّكتور محمد الدّسوقي (عدد شباط ١٩٧٥م) يكرر نفس الحديث.

ولا ندرى ما هدف هذه الحملة التي جاءت في وقت بدأت فيه أمتنا الإسلامية تشعر بالحاجة للرجوع إلى تراثها الأصيل؟ هل يريدون حرمان الأمة من الاستفادة من ذلك التراث الثّرى؟ أو يريدون إشغال الأمة بالجدل والمناقشة حول قضايا ثابتة ومسلمة؟!

والذي يهمّنا الآن هو مناقشة بعض الاعتراضات على [نهج البلاغة]:

١- أنّه من اختلاق الشّريف الرّضي وليس من كلام الإمام.

وهذا الاعتراض يتلاشى حينما نراجع كتب التّاريخ والأدب التي أُلفت قبل ولادة الشّريف الرّضي فنراها تتضمّن الكثير من خطب [نهج البلاغة] ورسائله وكلماته، وعليها اعتمد الشّريف الرّضي في جمع النّهج.

فمثلاً وردت بعض خطب النّهج في كتاب [البيان والتّبيين] للجاحظ المتوفى سنة (255هـ).

وفي كتاب [صفين] لنصر بن مزاحم المتوفى سنة (202هـ) جرية).

وفي كتاب [تاريخ الطّبرى] المتوفى سنة (310هـ) جرية).

وفي كتاب [الأغاني] للأصفهانى المتوفى سنة (356هـ) جرية).

علماً بأنّ الشّريف الرّضي توفي سنة (406هـ) فكيف يصحّ أنّه اختلق شيئاً موجوداً في كتب من ماتوا قبل ميلاده؟ وأخيراً أصدر أحد العلماء موسوعة جيدة أثبت فيها أسانيد ومصادر كلّ خطبة ورسالة وكلمة من [نهج البلاغة]، وهو العلامة السيد عبد الزّهراء الحسيني الخطيب، والذي قام بتحقيق نسبة ما في [نهج البلاغة] إلى الإمام علي بالاعتماد على مصادر موثوقة من كتب التّاريخ والأدب أغلىها كان مؤلفاً قبل [نهج البلاغة] ، وببعضها تروي كلام الإمام بإسناد متصلة لا تمرّ في طريقها على [نهج البلاغة] ، ولا على جامعه الشّريف الرّضي.

وقد طبع هذا العمل العلمي الهام في أربعة مجلّدات تحت عنوان [مصادر نهج البلاغة وأسانيد] ت Novel عدد صفحاتها على (1870 صفحة).

2 - إنّ فيه ذمّاً لبعض الصحابة لا يمكن أن يصدر من الإمام، والجواب أنّ الإمام يعتقد رأي الإسلام الذي يرى أنّ المبادئ هي المقاييس وليس الأشخاص فأيّ شخص يلتزم بالمبادئ يقدس ويحترم ولو كان عبداً يعيش في القرن العشرين بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأيّ شخص خالف المبادئ وانحرف عنها يجب أن يذم ويخطئ ولو كان يعيش مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيت واحد، ف{أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَائُمْ} (12) كما ذم القرآن الكريم زوجتي النبي الله نوح ونبي الله لوط قال تعالى: {صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِمْرَأَتَ نُوحٍ وَإِمْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عَبَادَنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ أَدْخِلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} (٢٣).

3 - إنّ فيه أخباراً عن أشياء غيبية مع اعتقادنا أنّه لا يعلم الغيب إلّا الله وتدوّب هذه الشّبهة حينما نقرأ في [نهج البلاغة] أنّ رجلاً منبني كلب سمع الإمام يتحدث عن بعض المغيبات، فقال: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب. فضحك(عليه السلام) وقال: "يَا أَخَا كَلِبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمٍ غَيْبٌ وَإِنَّمَا هُوَ تَعْلَمُ مِنْ ذِي عِلْمٍ .. عَلَمَهُ اللَّهُ تَبَّعَهُ فَعَلَمَنِيهِ وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعْلَمَهُ صَدْرِي، وَتَضَطَّمَ عَلَيْهِ جَوَانِحِي" (14). وهل هناك مانع من أن يخبر الله نبيه بالمغيبات؟ والقرآن يقول: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ} (15)، ثم هل هناك مانع من أن يخبر الرسول خليفته ووصيه ببعض تلك المغيبات؟

- (1) سورة الأحزاب: (الآية 39).
- (1) [مكافحة الفقر فرصة للاستثمار في المستقبل]: راغدة درغام، مقال في جريدة [الحياة]: (15/أغسطس/1997م/ص 15).
- (1) [نهج البلاغة]: (خطبة رقم: 182).
- (2) [بحار الأنوار]: محمد باقر المجلسي(ج 38/ص 270) مؤسسة الوفاء بيروت - الطبعة الثانية (1983م).
- (3) المصدر السابق.
- (4) المصدر السابق.
- (5) [ذلكم الإمام علي]: هادي المدرسي(ص 45) دار الزهراء، بيروت (1978م).
- (6) سورة الشّعراء: (الآية: 214).
- (7) [مجمع البيان في تفسير القرآن]: الطبرسي (ج 19/ص 188) منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- (8) [علي من المهد إلى اللحد]: محمد كاظم القزويني(ص 127) مؤسسة الوفاء، بيروت - الطبعة الحادية عشرة (1982م).
- (9) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 62).
- (10) [الكامل في التاريخ]: ابن الأثير(ج 2/ص 326) دار صادر، بيروت (1979م).
- (11) [تاريخ دمشق]: الحافظ ابن عساكر "ترجمة الإمام علي بن أبي طالب" (ج 3/ص 51)، الطبعة الثالثة(1980م) تحقيق الشيخ محمد باقر محمودي.
- (12) سورة الحجرات: (الآية: 13).

(13) سورة التحرير: (الآلية: 10).

(14) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 128).

(15) سورة يوسف: (الآلية: 102).

## العدالة الاجتماعية في نهج البلاغة

قال الإمام علي(عليه السلام) في عهده مالك الأشتر:

"أَنْصَفِ اللَّهَ وَأَنْصَفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمَنْ خَاصَّةٌ أَهْلُكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَىٰ مِنْ رَعِيَّتَكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلُ تَظْلِمًا!"  
وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَّهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ،  
وَكَانَ اللَّهُ حَرِبَاً حَتَّى يَنْزَعَ أَوْ يَتُوبَ.  
وَلَيَسْ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعَمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظَلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةِ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ" (1).

## العدالة الكونية:

بملاحظة علمية يلقيها الإنسان على مسيرة الكون ونظام الحياة، يكتشف أنّ مواد الكون وعناصر الحياة تعيش حالة دقيقة من التوازن، حيث رسم الله تعالى لكلّ عنصر أو مادة حدوداً معينة لا تتعديها، فإذا ما افترض أن تتعدي جرم أو مادة عن الحدود المرسومة، فإنّ ذلك يعني حدوث الدمار والخراب في مسيرة الحياة.

فمثلاً:

1 - حجم الأرض حدد بميزان دقيق بحيث لا يتعارض ومصلحة الأحياء، فلو فرض أنّ حجمها توسيع وازداد فسيكون ذلك على حساب الحياة على الأرض حيث تزداد قوتها الجاذبة فيصعب التحرك والنشاط على سطحها. ولو فرضنا الأمر بالعكس بحيث ينكمش حجم الأرض ويقل فإنّ ذلك يعني خراب الحياة حيث تقلّ الجاذبية فيفلت الهواء من أجواء الأرض وتتبخر المياه.

2 - تبعد الأرض عن الشمس مسافة محدودة تقدر بـ (93 مليون ميل)، وتحديد هذه المسافة إنما هو بوجي من دقة النظام العادل الذي يلفّ الكون. وإنّا لو ابتعدت الأرض بمسافة أبعد كثيراً عن هذه المسافة، لفقدنا الحرارة والدفء اللازم

للحياة، ولو انعكس الأمر فاقربت أكثر إلى الشمس التي تبلغ درجة الحرارة على سطحها (12 ألف درجة فهرنهايت) لاحتق الأحياء وانعدمت الحياة.

٣ - وتعلمون أن الكرة الأرضية يلتفها غلاف جوي ذو كثافة معينة، فرضها قانون الحياة الدقيق، فإذا تقلّصت هذه الكثافة إلى أقل من وضعها الحالي، فذلك يعني أن تكون الحياة تحت رحمة النيزك والشهب التي تسقط في الفضاء بمعدل (150 ألف) شهاب ونيزك في اليوم الواحد، وسرعة الواحد أقوى من طلقة البنديبة بـ(90 مرة)، فما بعد ذلك إلا دمار الحياة وهلاك الأحياء، ولو افترضنا العكس حيث تتضخم كثافة الغلاف الجوي فإن ذلك يعني خسارتنا للكثير من أشعة الشمس الضرورية.

هذا التوازن الدقيق الذي يعيشه الكون حيث يعمل كل جرم وتحرك كل مادة ضمن حدودها المعينة ومجالها المحدد نستطيع أن نعتبرها حالة العدالة، بينما الحالات المقابلة المفترضة والتي تطغى فيها أحد مواد الكون أو عناصره وتخرج عن حدودها يمكننا أن نسمّيها حالة الظلم. وما دامت حالة العدالة هي المسيطرة على الكون فسيبقى الكون في خير وسلام، أما إذا سادت حالة الظلم في الكون فذلك يعني خراب الكون ودماره.

بهذا نكون قد تعرّفنا على حالة العدالة الكونية والظلم الكوني، والآن دعنا نتعرّف على حالة العدالة الاجتماعية والظلم الاجتماعي.

#### العدالة الاجتماعية:

تماماً كما أن كل جرم أو مادة في الكون لها حدود معينة والتزامها بحدودها يعني العدالة وخروجها عن حدودها يعني الظلم، فكذلك الحال في المجتمع البشري حيث عين الله لكل فرد من أفراد المجتمع حدوداً وحقوقاً، فإذا ما سار كل إنسان وفق حدوده واستلم حقوقه فذلك يعني العدالة، أما إذا طغى الإنسان على حدوده، أو سلبته منه حقوقه فذلك يعني الظلم.

وبالضبط كما أن العدالة الكونية تحافظ على خير الكون واستقراره، بينما الظلم الكوني يسبب دمار الكون وخرابه، فكذلك العدالة الاجتماعية تحافظ المجتمع وتسعده والظلم الاجتماعي يهزم المجتمع ويُشقّيه.

في هذا المجال يقول الإمام علي (عليه السلام) لزياد بن أبيه - وقد استخلفه لعبد الله ابن العباس على فارس وأعمالها في كلام طويل كان بينهما نهاد فيه عن تقدم الخراج - قال (عليه السلام):

"إِسْتَعْمَلُ الْعَدْلَ وَاحْذَرُ الْعَسْفَ" - الاعتداء - **وَالْحَيْفَ** - الظلم - فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ - بهروب الناس وهجرتهم - **وَالْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ** - الثورة - "(2)" .

وهنا يجب أن ننبه إلى حقيقة مهمة وهي أن خالق البشر هو خالق الكون، والمجتمع البشري ما هو إلا جزء من الكون الذي تحكمه العدالة. فهل يمكن أن الله تعالى يفرض العدالة على جميع ذرات الكون ويسمح للمجتمع البشري أن يفترسه **الظلم والطغيان؟**.

بما أن خالق الكون واحد فيجب أن يكون النظام الذي يسود الكون هو الآخر واحداً، وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة حيث يقول:

{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَلَرَجِعُ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ قُطُورٍ ثُمَّ إِرْجَعَ الْبَصَرَ كَرَتَنِينَ يَنْقِلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} (3)

بيد أن الله تعالى أراد أن يشرف الإنسان ويكرمه ويفضله على سائر المخلوقات، وذلك بأن يتيح له المجال ليكمل نفسه بنفسه، فلم يفرض عليه العدالة جبراً وقسرأً كما فرضها على الشمس والأرض، وإنما أوضح له طريق العدالة، ورغبه في سلوكه، وبين له طريق **الظلم** وحدره من الانزلاق فيه، ثم تركه واختياره.

صور الظلم في المجتمع:  
ولكي يتجلّى لنا مفهوم العدالة وأبعادها الاجتماعية في [نهج البلاغة]، علينا أن نستعرض صور الظلم الاجتماعي وموقف الإمام علي منها، فالأشياء تُعرف بأضدادها:

1- الحاجة والحرمان:  
فإن الله الذي خلق الناس وتكتفل بمعيشة ورزق كل واحد منهم بل وكل كائن حي.. يقول تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} (4)، ويقول الإمام علي (عليه السلام): "عِيَالُهُ الْخَلْقُ، ضَمْنَ أَرْزَاقُهُمْ، وَقَدْرُ أَقْوَاتِهِمْ" (5)

وهذا الرزق موعد في كنوز الكون وخيراته، فعلى كل إنسان أن يعمل لاستخراج حصته من هذه الكنوز والخيرات. ولكن من لا تساعدة ظروفه الجسمية أو الاجتماعية على العمل وأخذ حصته من خيرات الكون مباشرة، هل يسقط حقه ويعيش محروماً أو يموت جوعاً؟

كلاً.. وإنما فرض الله على القادرين على العمل والحاizين على ثروات الكون أن يعطوا ذلك الفقير العاجز ما يسد حاجته ويدفع الحرمان عنه، يقول تعالى: {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} (6)، فإذا امتنع الأثرياء عن إعطاء الفقراء حاجتهم ومعيشتهم، فهذا ظلم واعتداء لا يرضى به الله ولا تقبله شريعة العدالة.

فاقرأ معي ما ي قوله الإمام علي(عليه السلام) في هذا المجال:  
"إِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ فَرِضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاءَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مَتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَأَلَهُمْ عَنْ ذَلِكَ" (7).

ويقول في رسالة لعامله على مكة قشم بن العباس:

"وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاورة، مصيباً به مواضع الفاقة والخلالت" (8).

وفي عهده مالك الأشتر يقول(عليه السلام):

"اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ، مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينِ وَأَهْلِ الْبُؤْسِ وَالزَّمْنِيِّ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرِضاً، وَاحْفَظْ اللَّهُ مَا اسْتَخْفَفَهُ عَذْلَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْماً مِنْ غَلَاتِ صَوَافِي الإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلْدٍ، فَإِنَّ لِلأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنِيِّ، وَكُلُّ قَدْ أَسْتُرْعَيْتُ حَقَّهُ" (9).

وماذا سيحدث لو طغى الناس الأثرياء وانحرفو عن قانون العدالة وتركوا الفقراء يcabدون الحاجة والحرمان؟!

إن الذي سيحدث حينئذ هو النتائج الخطيرة التالية:

أ - الطبقية: حيث تتكدس الثروات عند مجموعة من الناس، بينما يكتوي الآخرون بنار البؤس والحرمان. وبمرور الأيام يزداد الأثرياء ثروة وترفعاً، ويزداد الفقراء تعاسة وانعزالاً. يقول الإمام علي(عليه السلام): "إِضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ فَهُلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا، أَوْ غَنِيًّا بَدَلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، أَوْ بَخِيلًا إِنْتَهَ الْبَخْلُ بِحَقِّ اللَّهِ وَفُرًا" (10).

وبصراحة، يندد الإمام بالمجتمع الطبقي، فيقول(عليه السلام) في رسالته لعثمان بن حنيف واليه على البصرة:

"أَمَا بَعْدُ، يَا بْنَ حُنَيْفَ: فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأدُبَةٍ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْحِفَانُ. وَمَا ظَنَنتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُونَ، وَغَنِيهِمْ مَذْعُونٌ" (11).

ب - الجريمة والانحراف: فإن الفقر وال الحاجة الملحة تدفعان إلى الجريمة والفساد كالنهب والسرقة والاحتيال.  
يقول الإمام(عليه السلام):

"وَإِذَا بَخَلَ الْغُنْيُ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ" (12).

ج - الاضطرابات الاجتماعية: فإلىكم سيسير الفقراء على ألم الجوع ويتحملون الحاجة والحرمان؟.. بل لا بد وأن يتورم الحقد في قلوبهم فيتفجروا في ثورة عارمة.  
يقول(عليه السلام): "الْحَيْفُ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ" (13).

## 2. عدم تكافؤ الفرص:

وهذا هو المشهد الثاني من مشاهد الظلم الاجتماعي، حيث يُتاح المجال الاجتماعي والامتيازات الاقتصادية لفئة دون أخرى، على أساس علاقتهم بجهاز الحكم أو قربتهم من شخص الحاكم.

وهذا يسبب وصول غير المؤهلين لمراكز السيادة، فيتلاعبون حينئذ بكرامة الناس وحقوقهم، بينما ينسحب أصحاب الكفاءة لعدم إتاحة المجال لهم لممارسة كفاءتهم، فيحرم المجتمع من خبراتهم وخدماتهم.

وقد وقف الإمام علي من هذا الأمر موقفاً صارماً شديداً، فبمجرد أن تولى الإمام الخلافة سحب كل الامتيازات السياسية والاقتصادية التي منحت بغیر حق لأقرباء وأصدقاء الخليفة السابق. يقول(عليه السلام):

"وَاللَّهُ لَوْ وَجَدْتُهُ -الْمَال- قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَمُلْكَ بِهِ الْإِمَاءُ، لَرَدَدْتُهُ، فَإِنْ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ، فَالْجُورُ عَلَيْهِ أَضِيقَ" (14).

وأصر الإمام علي(عليه السلام) عزل الولاة السابقين ومن بينهم معاوية بن أبي سفيان وإلي الشام القوي، ورفض أن يمنح طلحة والزبير ما يطمحان إليه من منصب لعدم كفاءتهما.

وطبق سياسة المساواة في العطاء بين الناس مهما اختلفوا في الفضل والمكانة وحينما عותب صار يشرح سياسته العادلة بقوله:

"أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِيتُ عَلَيْهِ! وَاللهُ لَا أَطْهُرُ بِهِ مَا سَمَّرَ سَمِير، وَمَا أَمْ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا! لَوْ كَانَ الْمَالَ لِي لَسْوَيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالَ مَالُ اللهِ!" (15).

وحتى أخيه وشقيقه عقيل بن أبي طالب جاء يطلب زيادة في عطائه على سائر الناس فرفض الإمام، وحينما ألح عقيل في طلبه صرخ له الإمام بإصراره على العدالة بطريقة عملية، يتحدث عنها(عليه السلام) فيقول:

"وَاللهُ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ، حَتَّى إِسْتَمَاهَنِي مِنْ بُرْكَمْ صَاعًا، وَرَأَيْتُ صَبِيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الْأَلْوَانِ، مِنْ قَفْرِهِمْ، كَأَمَّا سُودَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعَظَلَمِ، وَعَادَدَنِي مُؤْكِدًا، وَكَرَرَ عَلَيِ الْقَوْلَ مُرَدِّدًا، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي، فَظَنَّ أَبِي أَبِيَّهُ دِينِي، وَأَتَّبَعَ قِيَادَهُ مُفَارِقًا طَرِيقَتِي فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جَسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَّجَ صَحِيجَ ذِي دَنْفِ مِنَ الْمَهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرَقَ مِنْ مَيْسِمَهَا، فَقُلْتُ لَهُ: تَكَلَّتَكَ التَّوَاكُلَ يَا عَقِيلُ! أَتَئِنَّ مِنْ حَدِيدَةَ أَحْمَاهَا إِنْسَانَهَا لِلْعَبِهِ، وَتَجْرِي إِلَى نَارِ سَجْرَهَا جَبَارُهَا لِغَضِيبِهِ! أَتَئِنَّ مِنَ الْأَدَى وَلَا أَئِنَّ مِنْ لَظِي"! (16).

### ٣ـ الحصانة أمام القانون:

وصورة ثلاثة من صور الظلم الاجتماعي أن لا يطبق القانون إلا على الضعفاء والقراء، أما ذوو المناصب والثروة والجاه، فهم في حصانة عن تطبيق القانون عليهم إذا ما انحرفو.

وقد حارب الإمام هذا الظلم بعنف حينما قال: "الذِّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخَذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخَذَ الْحَقَّ مِنْهُ" (17).

وكان ضباط الجيش والعسكريون يتهددون الناس بمكانتهم التي تحصنهم عن طائلة القانون، ولكن الإمام علي(عليه السلام) رفع هذه الحصانة عن أي فرد منهم انحرف عن طريق العدل، يقول(عليه السلام) في رسالة بعث بها إلى المناطق التي يمر عليها جيشه هذا نصها:

"مَنْ عَبَدَ اللهَ عَلَيْهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرِبِّهِ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاهِ الْخَرَاجِ وَعُمَالِ الْبَلَادِ:

أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ سَيَرْتُ جُنُودًا هِيَ مَارَهُ بِكُمْ إِنْشَاءَ اللهُ،  
وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَحْبُبُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِ الأَدَى وَصَرِفِ الشَّدَى، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ  
وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعْرَةِ الْجَيْشِ، إِلَّا مِنْ جُوْعَةِ الْمُضْطَرِّ، لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَبًا إِلَى

شَبَعَهُ.. فَنَكَلُوا مِنْ تَنَاؤَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْمًا عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَكَفَوْا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مَضَارِتِهِمْ، وَالْتَّعْرِضُ لَهُمْ فِيمَا اسْتَشْنَيَا هُمْ مِنْهُمْ. وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِ الْجَيْشِ، فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ، وَمَا عَرَكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِمَّا أَمْرَهِمْ وَمَا لَا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللَّهِ وَبِإِيمَانِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (18) **أَغْيَرُهُ بِمَعْوَنَةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**

هكذا يضع الإمام حدّاً أمام الانحراف والتجاوز على القانون ليحفظ للقانون هيبته ووقاره.

#### ٤. الاعتداء على حقوق الآخرين:

لكلّ فرد في المجتمع كرامته وحقوقه، والاعتداء على كراماتي أيّ فرد وحريته وحقوقه يعتبر شكلاً من أشكال الظلم، الذي لا بدّ وأن يعاقب الله عليه صاحبه عقاباً يكون وقوعه وألمه أشدّ من وقع الظلم على المظلوم. يقول الإمام علي (عليه السلام): "يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ" (19). ويكون الظلم أكثر بشاعة إذا كان ضحيته الضعفاء والفقراة الذين لا يستطيعون مقاومة الظلم والدفاع عن حقوقهم يقول الإمام: "ظُلْمُ الْمُضْعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ" (20).

ويقول أيضاً: "وَبُؤْسَى لِمَنْ خَصَّمْهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ" (21). وعلى السلطة والمجتمع أن يوقفوا الظلم عند حدّه وأن ينتزعوا حقوق المظلومين من يديه يقول الإمام (عليه السلام): "لَا نُصْفِنَ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ، وَلَا قُوَّدَنَ الظَّالِمَ بِخَزَامَتِهِ، حَتَّى أُورَدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًـ" (22)، ويقول (عليه السلام): "لَنْ تُقَدِّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلْمُضْعِيفِ فِيهَا حَقَّهُ مِنَ الْقَوِيِّ" (23).

#### موقفنا من الظلم:

بعد أن تعرّفنا على صور الظلم الاجتماعي أصبح بإمكاننا تشخيص حالات الظلم المتوفّرة في مجتمعاتنا، ولكن ما هو الموقف الذي يجب أن نقفه تجاهها؟ هل يكفي أن نتفرّج عليها ونأخذ دور المشاهد السلبي؟ أم أنّ علينا مسؤولية تجاه واقع الظلم الاجتماعي؟

إن الإمام يحدد موقف المسلم الواعي من الظلم بالشكل التالي:

١- التألم من الظلم: فإذا مررت على مشهد من الظلم الاجتماعي أو سمعت بخبر عنه فيجب أن لا تتركه يمر على سمعك مرور الكرام، بل عليك أن تجعله يتفاعل مع ضميرك ويستثير وجداً.

فهذا الإمام بعد أن يصف حالة من حالات الظلم المعاصرة له يحفز السامعين للتألم والتأسف بل والموت أسفًا وأملًا، يقول (عليه السلام):

"ولَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ - قَوْمٌ مَعَ اوْيَةٍ - كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمُعَاہَدَةَ، فَيَنْتَزَعُ حِجْلَاهَا، وَقُلْبَاهَا، وَقَلَائِدَهَا وَرُعْثَاهَا، مَا تَمْتَنَعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْإِسْتِرْجَاعِ وَالْإِسْتِرْحَامِ.. فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ يَهِي مَلُومًا، بَلْ كَانَ يَهِي عَنْدِي جَدِيرًا" (٢٤).

٢- الوقوف إلى جانب المظلوم ضدّ الظالم: في آخر وصية للإمام علي (عليه السلام) وجهها لولديه الحسين قال: "كُونا للظلم خصماً وللمظلوم عوناً" (٢٥).

٣- العمل من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية ومكافحة الظلم: وهي مسؤولية كل فرد واع، يقول الإمام (عليه السلام): "أخذ الله على العلماء - الوعيين - ألا يقارروا على كثرة - تخمة - ظالم، ولا سغب - جوع - مظلوم" (٢٦).

---

(١) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: ٥٣).

(٢) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: ٤٧٦).

(٣) سورة الملك: (الآلية: ٤-٣).

(٤) سورة هود: (الآلية: ٦).

(٥) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: ٩١).

(٦) سورة الداريات: (الآلية: ١٩).

(٧) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: ٣٢٨).

(٨) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: ٦٧).

(٩) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: ٥٣).

(١٠) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: ١٢٩).

(١١) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: ٤٥).

(١٢) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: ٣٧٢).

(١٣) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: ٤٧٦).

- (14) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 15).
- (15) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 126).
- (16) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 224).
- (17) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 37).
- (18) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 60).
- (19) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: 241).
- (20) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 31).
- (21) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 26).
- (22) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 136).
- (23) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 53).
- (24) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 27).
- (25) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 47).
- (26) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 3).

## الحق في نهج البلاغة

قال الإمام علي (عليه السلام):  
 " فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نَلَّتِ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغُ لَدَّهُ أَوْ شَفَاءُ غَيْظٍ، وَلَكُنْ إِطْقَاءُ باطِلٍ أَوْ إِحْيَاءُ حَقٍّ " (1).  
 الحق يعني: الأمر الثابت الصحيح. ويقابله الباطل أي: الشيء الخطا الغير ثابت الوجود.

وبهذا فالحق إطار شامل يتسع لكل قضايا الحياة الفكرية والعملية. فهناك فكرة حق وفكرة باطل، وكلمة حق وكلمة باطل، وعمل حق وعمل باطل، وموقف حق وموقف باطل.

فالفكرة التي تتوافق مع الواقع الصائب هي فكرة حق، والكلمة التي تحكي الواقع الصحيح هي كلمة حق، والعمل الذي ينبع من الواقع الموضوعي هو عمل حق، والموقف الذي يفرضه الواقع الأمر هو موقف حق. ويعبر الإمام عن شمولية الحق بقوله:

" حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَلِكُلِّ أَهْلٍ " (2).

وعلى الإنسان أن يتّبع الحق في كل شيء فكريًّا وعمليًّا، فلا يسمح لنفسه باعتناق الفكرة الباطلة أو التفوّه بالكلمة الباطلة أو ممارسة العمل الباطل لأنّه حينئذ يخدع نفسه ويضلّها ويظلمها.. ولأنّه أخيرًا سيصطدم بالأمر الواقع الثابت. فالكافر حينما خدعوا أنفسهم واعتقدوا بعدم وجود بعث وحساب وعقاب، لم تغيّر عقيدتهم الباطلة واقع الحق، بل وجدوا أنفسهم فجأة أمام الأمر الواقع، ولم يسعهم حينئذ إلّا الخضوع والاعتراف ولكن بعد فوات الأوان.

يقول القرآن الكريم:

{ وَيَوْمَ يُعرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلِّيسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبُّنَا قَالَ فَدُوْقُوا الْعَذَابُ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } (٣).

وحين اعتقد الشيوعيون أنّ الملكية الفردية وحبّ الذّات ليست غريزة أصلية في الإنسان، وإنّما هي طبع مكتسب يمكن إلغاؤه ونسفه، اصطدموا بالواقع بعد نجاح ثورتهم الشيوعية، واضطروا إلى التّراجع عن تطبيق نظريتهم الدّاعية إلى إلغاء جميع آثار الملكية الفرديّة، مبرّرين تراجعهم بالحاجة إلى فترة تمهيدية يطلق عليها المرحلة الاشتراكية. وأخيرًا أعلنت الماركسية فشلها وانهار وجودها الدولي وكيانها السياسي الاجتماعي.

والغربيون استمروا فترة طويلة وهم يعارضون تطبيق حكم الإعدام على القاتل ظانين أنّ في السجن المؤبد عقوبة رادعة تكفي عن الإعدام القاسي، ولكنهم أخيرًا استسلموا أمام الواقع وثبت لديهم أنّ: { في القصاص حياة } (٤)، وأنّ القتل أنفي للقتل كما كانت تقول العرب، ومن جديد ارتفعت في الغرب نداءات الرّجوع إلى حكم الواقع، ونُقدّد أول حكم بالإعدام على القاتل من فترة قريبة.

في هذا المجال يقول الإمام علي(عليه السلام) في [نهج البلاغة]:

"مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ" (٥).

"مَنْ أَبْدَى صَفْحَتِه لِلْحَقِّ هَلَكَ" (٦).

"وَإِنَّهُ لَا يُغْنِيكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَدًا" (٧).

ما هو مقياس الحق؟

لعلّ أكثر الناس يرغبون في إتباع الحق ويحبون الالتزام به، ولكن المشكلة تكمن في طريقة التعرّف على الحق وتشخيص موقعه.

فالكثرة الغالبة من الناس تستعمل مقاييس خاطئة للتوصّل إلى الحقّ، فتوصّلهم إلى الباطل بينما يعتقدون في أنفسهم أنّهم على الحقّ وأنّهم يجسدون مواقفه، وهؤلاء يصفهم القرآن بأنّهم أفشل الناس وأخسّرهم أعمالاً، يقول تعالى:

{ قُلْ هَلْ نُنَيِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صُنْعًا } (٨).

وحيثما يتحدث الإمام علي (عليه السلام) عن مشكلة الخوارج يشخصها بخطئهم في استعمال المقاييس الموصولة إلى الحقّ رغم محبتهم لاتباع الحقّ، يقول (عليه السلام): " لَا تُقَاتِلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي فَلَيْسَ مِنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأُهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ " (٩).

والآن ما هو مقياس الحقّ عند الإمام علي (عليه السلام)؟

هل المقياس كثرة الأصوات والأتباع كما يظنّ أكثر الناس حيث يستدلّون باتجاه غالبية الناس وميلهم إلى أمر ما على أحقيّة ذلك الأمر.

إنّ القرآن الكريم يرفض هذا المقياس ويقول: { وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ } (١٠)، { وَمَا أَكْثُرُ النَّاسَ وَلَوْ حَرَضْتَ مُؤْمِنِينَ } (١١)، { وَأَنْ تُطِعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَبَعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } (١٢).

ويقول الإمام علي (عليه السلام): " لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله " (١٣). وفي كلماته التي ودع بها أبا ذر الغفارى، حينما نفاه الخليفة عثمان بن عفان إلى

الربذة - منطقة نائية عن المدينة - يقول (عليه السلام): " لا يؤنسنَك إِلَّا الحقّ ولا يوحشنك إِلَّا الباطل " (١٤).

وهل المقياس هو رأي شخصيات المجتمع وكبار القوم؟ فإذا أردنا أن نعرف موقف الحقّ في قضية ما فعلينا أن نرجع إلى كبار الجماعة وشخصيات الأمة، ورأيهم حينئذ هو الحقّ الأكيد!.

إنّ هذا المقياس هو الآخر خاطئ لاحتمال جهل هؤلاء الشخصيات بموقف الحقّ أو انحرافهم عنه، فيقودنا أتباعهم إلى جحيم الضلال والعقاب، ويجسد القرآن لنا هذه الحقيقة بقوله تعالى: { يَوْمَ تُقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبرَاءَنَا فَأَضَلَّوْنَا السُّبْلَ } (١٥).

وقد عانى الإمام علي (عليه السلام) نفسه من هذه المشكلة في صراعه مع طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة، الذين كانوا من كبار الأمة وشخصياتها، ولكن موقفهم

لم يكن مطابقاً للحق، ورغم ذلك فقد انخدع بهم كثير من الناس وشكّل آخرون، لأنّهم لم يملكون المقياس الواقعي للحق، بل اعتبروا هؤلاء مقياساً لمعرفة الحق. في [نهج البلاغة] أنّ الحارث بن حوط جاء إلى الإمام (عليه السلام) قائلاً: أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلال؟

فقال الإمام (عليه السلام): "يا حارث، إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحررت. إنك لم تعرف الحق فتعرف من أنت، ولم تعرف الباطل فتعرف من أنت" (16).

فهل المقياس إذا.. سيرة الآباء والأجداد؟ حيث يقلد الشاب آباءه ويسير على طريقتهم، كما هو حال أكثريّة الناس، فإذا ولد من أبوين مسلمين أصبح مسلماً وراثياً، وإذا ولد من أبوين سنيين صار سنياً طبيعياً، وإذا وجد أبويه على طريقة ما فلا محيض له عنها!! دون أن يستخدم عقله ويبحث عن الدليل والبرهان.

إنّ هذا المقياس هو مقياس تافه يعطل لدى الإنسان تفكيره وحرّيته، ولقد ندد القرآن بهذا النوع من التقليد الأعمى، وسخر من أتباعه الذين يقولون: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةً وَنَحْنُ عَلَىٰ آتَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} (17).

وهذا الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في [نهج البلاغة] يذكّرنا بأنّ الطّليعة المؤمنة في صدر الإسلام ليس فقط خالفت آراء آباءها وإنما كافحت وناضلت ضدّها يقول: "ولقد كُنّا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً" (18).

وإذا لم يكن مقياس الحق هو رأي الأكثريّة، ولا موقف الشخصيات ولا سيرة الآباء والأجداد ، فما هو المقياس إذا؟.

مقياس الحق:

إنّ مقياس الحق شيطان:

الأول - العقل: والذّي إنما منحه الله للإنسان حتى يفكّر به ويهتدى بضوئه إلى طريق الحق، ولذلك يحثّ القرآن الكريم الناس على استعمال عقولهم والتفكير بها للوصول إلى الحق. فيقول للمشكّكين في صدق رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم):

{فُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقْوِمُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} (19)، وفي آية أخرى يخاطب

المشَكِّين في عظمة الله تعالى: [أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٌ مُسَمٌّ] (20).

ويقول الإمام علي (عليه السلام): "لَا غَنِيَ كَاعْقُلٍ" (21).

ويقول (عليه السلام): "وَلَا يَغْشُ الْعَقْلُ مَنْ إِسْتَنْصَحَهُ" (22).

ويقول (عليه السلام): "الْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ" (23).

ويقول (عليه السلام): "الْفَكْرُ مَرَأَةٌ صَافِيَّةٌ" (24).

ويقول (عليه السلام) في صفة خلق آدم (عليه السلام): "تُمْ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلْتُ إِنْسَانًا، ذَا أَذْهَانَ يُجْيِلُهَا، وَفَكَرٌ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحٌ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقْلِبُهَا، وَمَعْرِفَةٌ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ" (25).

الثاني - الوحي: وهل يوحى الله لعباده غير الحق أو يأمرهم بالباطل؟

إنَّه لا ينبغي للإنسان أن يشك في أنَّ أمر الدين ورأيه هو الحق الصحيح الذي لا جدال فيه، يقول تعالى {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (26)، وفي آية أخرى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرِّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ} (27).

وفي [نهج البلاغة] يكرر الإمام ويكسر وصف النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالهداية إلى الحق، وبأنَّ الهدف من بعثته هو تبيين الحق للناس. يقول (عليه السلام): "إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بِالْحَقِّ حِينَ دَنَّ مِنَ الدُّنْيَا إِنْقِطَاعٌ وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الإِطْلَاعُ" (28). "أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا، فَأَدَى أَمِينًا، وَمَضَى رَشِيدًا، وَخَلَفَ فِينَا رَأْيَةً الْحَقِّ" (29).

### البحث عن الحق واتباعه:

فيجب على الإنسان أن يفتتش عن الحق ويبحث عنه إزاء أي قضية أو أمر مستخدمًا المقاييس الصحيح للتعرف على الحق ولو كلفه ذلك جهودًا وعناء، يقول الإمام (عليه السلام): "وَخُضَ الْعَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ" (30).

ففي بعض الأحيان يغلف الباطل بغلاف الحق، ويلبس مسوحة، وهو ما نعاني منه في وقتنا الحاضر حيث ترتفع شعارات الحق بمخالف العناويين والمظاهير كشعار الوحدة والحرية والعدالة والتقدم، ولاشك أنَّ مضمون هذه الشعارات بذاتها هدف حق، ولكن من يرفعها إنما يستغلُّها من أجل الباطل. فعلى الإنسان أن يكون ذكيًا واعيًا لا تخده الشعارات ولا تغره المظاهر.

ويلفتنا الإمام (عليه السلام) إلى هذه الحقيقة الهامة "استغلال الشعارات" حينما سمع شعار الخارج: "لَا حُكْمَ إِلَّا لِللهِ". وهل يوجد مسلم يعتريض على هذا الشعار أو يناقش فيه؟ لذ

قال الإمام (عليه السلام): "كَلْمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ" (31). والأخطر من ذلك أن يمزج الحق بشيء من الباطل أو تطعم قضية باطلة بشيء من الحق، فهناك يسهل الانخداع ويمكن التضليل إلا للواعي الذي يستطيع أن يشرح القضية ويكتشف مكمن الباطل فيها.

فمثلاً: رياضة الجسم وقوية عضلاته أمر حق، ولكن صرف هذا المقدار الطائل من الأوقات والجهود والاهتمام بالرياضة، وبالشكل المعروف حالياً أمر باطل، ولكنهما أمران ممتزجان ولذلك أمكن استقطاب الناس وانخداعهم.

وقد نبه الإمام (عليه السلام) إلى هذه الظاهرة الخطيرة بقوله:

"فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مَزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبِسِ الْبَاطِلِ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلَكِنَّ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضَعْثٌ، وَمِنْ هَذَا ضَعْثٌ، فَيُمْزَجَانَ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو: {الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مَنَا الْحُسْنَى} (32)" (32).

ويقول أيضاً (عليه السلام): "وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشَّبَهَةُ شَبَهَةً لِأَنَّهَا تُشَبِّهُ الْحَقَّ" (34). فإذا عرف الإنسان الحق، وجب عليه اتباعه والتزام موقفه، وإن كان ذلك يتعارض مع مصالحه وأهوائه. وهنا تكمن مشكلة الحق في أنّه يتعارض غالباً مع أناية الإنسان وأهوائه، مما يجعل الإنسان يفارق موقف الحق ويتبع الباطل إشباعاً لشهواته وغرائزه.

ويقول (عليه السلام): "فَإِنَّمَا إِتْبَاعُ الْهَوَى فَيَصِدُّ عَنِ الْحَقِّ" (35). ويقول الإمام علي (عليه السلام): "إِنَّ الْحَقَّ تَقِيلُ مَرِيَءَهُ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَيَءُ" (36).

ويقول أيضاً (عليه السلام): "إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ - وَإِنَّ نَقْصَهُ وَكَرَتَهُ - مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِنْ جَرَ إِلَيْهِ فَائِدَةٌ وَزَادَهُ" (37). مسؤوليتنا تجاه الحق:

نستخلص مما سبق أن مسؤوليتنا تجاه الحق تتلخص في النقاط التالية:

١- البحث عن الحق: "وَخُضَ الغُمَراتِ لِلْحَقِّ حِيثُ كَانَ" (38).

2 - اتباع الحق": إنّ أفضـل النـاس عند الله من كان العمل بالحق أحب إـليـه .. "(39). ويقول(عليـه السلام) في صـفات المـتقـي أنه: "يـصـفُ الـحـقَّ وَيـعـمـلُ بـه" "(40).

3 - الوقوف إلى جانب الحق وفي جـبـته: فلا يـصـح للإـنـسـان أن يـقـفـ موقف المـتـفـرـج من صـراع الحقـ والـبـاطـلـ، بل يـجـبـ عليه أن يـدـخـلـ المـعرـكـةـ إلى جانب الحقـ، وإـلا تـحـمـلـ مـسـؤـلـيـةـ خـذـلـانـ الحقـ وـانـهـازـمـهـ. يقول(عليـه السلام) في الذـينـ اـعـتـزـلـوا القـتـالـ معـهـ ضـدـ الـبـاطـلـ: "خـذـلـوا الـحـقَّ وَلـمْ يـنـصـرـوـا الـبـاطـلـ" "(41).

وـإـذـا اـنـتـصـرـ الـبـاطـلـ فـهـلـ سـيـسـلـمـ الـمـتـفـرـجـوـنـ مـنـهـ؟ وهـلـ سـيـتـكـهـمـ الـبـاطـلـ يـارـسـونـ الـحـقـ بـحـرـيـتـهـ؟ كـلـاـ يـقـولـ الإـمامـ (عليـه السلام): "لـو لـمـ تـتـخـادـلـوا عـنـ نـصـرـ الـحـقـ، وَلـمـ تـهـنـوـا عـنـ تـوـهـيـنـ الـبـاطـلـ لـمـ يـطـمـعـ فـيـكـمـ مـنـ لـيـسـ مـثـلـكـمـ، وَلـمـ يـقـوـ مـنـ قـوـيـ عـلـيـكـمـ" "(42).

ويـقـولـ (عليـه السلام): "رـحـمـ اللهـ رـجـلـاـ رـأـيـ حـقـاـ فـأـعـانـ عـلـيـهـ، أـوـ رـأـيـ جـورـاـ فـرـدـهـ، وـكـانـ عـونـاـ بـالـحـقـ عـلـىـ صـاحـبـهـ" "(43).

4 - العمل من أجل الحقـ: حيث يـكـرـسـ الإـنـسـانـ حـيـاتـهـ مـنـ أـجـلـ إـحـقـاقـ الـحـقـ وـمـقاـومـةـ الـبـاطـلـ، يـقـولـ الإـمامـ (عليـه السلام): "فـلـاـ يـكـنـ أـفـضـلـ مـاـ نـلـتـ فـيـ نـفـسـكـ مـنـ دـنـيـاـكـ بـلـوـغـ لـذـةـ أـوـ شـفـاءـ غـيـظـ، وـلـكـنـ إـطـقـاءـ بـاطـلـ أـوـ إـحـيـاءـ حـقـ" "(44).

وـمـاـ الشـهـادـةـ وـالـمـنـصـبـ وـالـمـتـيـازـاتـ إـلـاـ وـسـائـلـ تـعـيـنـ الـفـرـدـ عـلـىـ تـحـقـيقـ أـهـدـافـ الـحـقـ.

أـمـاـ إـذـا تـحـوـلـتـ هـذـهـ الـوـسـائـلـ إـلـىـ أـهـدـافـ بـحـدـ ذـاتـهاـ فـقـدـ خـسـرـ الإـنـسـانـ حـيـاتـهـ.

قال عبد الله بن عباس(رضـيـ اللهـ عـنـهـ): دـخـلـتـ عـلـىـ أمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ (عليـهـ السـلامـ) بـذـي قـارـ، وـهـوـ يـخـصـفـ نـعـلهـ، فـقـالـ لـيـ: ماـ قـيـمةـ هـذـاـ النـعـلـ؟! فـقـلتـ: لاـ قـيـمةـ لـهـ!!

فـقـالـ (عليـهـ السـلامـ): "وـالـلـهـ لـهـيـ أـحـبـ إـلـيـ مـنـ إـمـرـتـكـمـ إـلـاـ أـنـ أـقـيمـ حـقـاـ أـوـ أـدـفـعـ بـاطـلـاـ". (45)"

---

(1) [نهـجـ الـبـلـاغـةـ]: (الـكـتـابـ رقمـ: 66).

(2) [نهـجـ الـبـلـاغـةـ]: (الـخـطـبـةـ رقمـ: 16).

(3) سـوـرـةـ الـأـحـقـافـ: (الـآـيـةـ: 34).

(4) سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ: (الـآـيـةـ: 179).

(5) [نهـجـ الـبـلـاغـةـ]: (قـصـارـ الـحـكـمـ رقمـ: 408).

(6) [نهـجـ الـبـلـاغـةـ]: (الـخـطـبـةـ رقمـ: 16).

- (7) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 59).
- (8) سورة الكهف: (الآلية: 103-104).
- (9) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 61).
- (10) سورة المؤمنون: (الآلية: 70).
- (11) سورة يوسف: (الآلية: 103).
- (12) سورة الأنعام: (الآلية: 116).
- (13) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 241).
- (14) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 130).
- (15) سورة الأحزاب: (الآلية: 66-67).
- (16) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: 262).
- (17) سورة الزخرف: (الآلية: 23).
- (18) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 56).
- (19) سورة سباء: (الآلية: 46).
- (20) سورة الروم: (الآلية: 8).
- (21) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: 54).
- (22) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: 281).
- (23) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: 424).
- (24) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: 5).
- (25) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 1).
- (26) سورة البقرة: (الآلية: 147).
- (27) سورة النساء: (الآلية: 170).
- (28) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 198).
- (29) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 100).
- (30) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 31).
- (31) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 40).
- (32) سورة الأنبياء: (الآلية: 101).
- (33) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 50).
- (34) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 38).
- (35) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 42).

- (36) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: 376).
- (37) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 125).
- (38) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 101).
- (39) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 125).
- (40) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 87).
- (41) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: 18).
- (42) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 166).
- (43) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 205).
- (44) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 66).
- (45) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 33).

### الحرية في نهج البلاغة

قال الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) في [نهج البلاغة]:  
" لَا تَكُنْ عَبْدًا غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا " (١).

### عبدية الكون:

حينما نطلق عنان تفكيرنا في رحاب هذا الكون، ونتأمل جوانبه ومخلوقاته نجد أن كل شيء في هذا الكون من أصغر ذرة إلى أعظم مجرة، يخضع لحركة قسرية مفروضة عليه.

فالله الذي خلق الكون والحياة حدد لكل ذرة وكل حركة دوراً معيناً ووظيفة خاصة لا تستطيع التخلف عن أدائها. فالسماء والأرض لهما نظام معين لا اختيار لهم في الالتزام به، يقول تعالى: { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ إِنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعَيْنَ } (٢).

والشمس والقمر يحكمها قانون صارم لا يمكن لأحدهما أن يتمرد عليه، يقول القرآن الحكيم: { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرِرٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدْرَنَا هُوَ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْيَلْلَةُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِلَكٍ يَسْبِحُونَ } (٣).

ويقول الإمام في [نهجه]: " أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقْلِكُمْ - تَحْمِلُكُمْ - وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجْوِدَانِ لَكُمْ بِرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ، وَلَا زَلْفَةً

إِلَيْكُمْ، وَلَا لَخَيْرٌ تَرْجُونَهُ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ أَمْرَتَا إِنْمَافِعَكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأَقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا" (4).

وحتى الحيوانات تخضع لدفافع غريزية توجهها وجهة معينة فرضها الله تعالى عليها، ولذلك لا تستطيع تغيير حياتها ولا تطوير سلوكها، فالنحلة مثلاً منذ عرفها الإنسان وإلى اليوم تعيش حياة معينة وتمارس دوراً محدوداً لم يطرأ ولن يطرأ عليه أي تغيير وتطوير إلى يوم القيمة، وكذلك دودة القز وسائر الحشرات والحيوانات تسيرها حركة قسرية تنسجم مع نظام الكون كله.

### حرية الإنسان:

أما الإنسان فيختلف عن سائر أجزاء الكون في أن له بعدين: بعد الجسم المادي وبعد الروح الإرادي، وهو في البعد المادي يستوي مع بقية المخلوقات في أنه يخضع لنظام قسري وحركة جبرية لا اختيار له ولا إرادة فيها، فهو لا يختار والديه، ولا يختار وقت ولادته، ولا نوعه ولا شكل جسمه.. بل لا تدخل له في النظام الفسيولوجي لجسمه، ولذا لم يستطع الإنسان تغيير أو تطوير النشاط الداخلي لجسمه كنشاط الدورة الدموية أو عمل الخلايا أو شغل الكلية والكبد، لأن ذلك كله خارج إرادة الإنسان و اختياره.

ولكن الإنسان يتميز عن سائر المخلوقات ببعده الثاني: فهو ليس كتلة من المادة فقط كبقية المخلوقات بل بالإضافة إلى ذلك يحتوي على ومضة من روح الله تجعله الأفضل والأسمى. يقول تعالى عن تركيب الإنسان المادي والروحي وعن تكريمه بذلك: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} (5).

ويقول الإمام في [نهجه]: " ثم جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهَلَهَا، وَعَدَبَهَا وَسَبَخَهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلَأَطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَعَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءَ وَوُصُولَ، وَأَعْضَاءَ وَفُصُولَ:... ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَكَثَ إِنْسَانًا ذَا أَدْهَانَ يُحِيلُهَا، وَفَكَرَ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقْلِبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يُفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ" (6).

في بهذه الومضة الروحية يتميز الإنسان على باقي الكائنات، ولهذه الروح خصائصها من التفكير والإرادة. وإذا كان الإنسان في أعماله وتصريفاته يخضع لحركة قسرية فما هو دور تفكيره وما قيمة إرادته إذا؟

التفكير إنما يكون في الاختيارات المتعددة، والإرادة إنما تكون بامتلاك الحرية والقدرة على ممارسة أي اختيار.

وهذا ما أعطاه الله للإنسان حيث منحه القدرة على التفكير والحرية في التصرف، ولذا حينما يتحدث القرآن عن عبودية جميع الكائنات وخضوعها لأمر الله يستثنى قطاعاً كبيراً من البشر الذين لم يريدوا عبادة الله ولم يخضعوا في تصرفاتهم لأمره. يقول تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ} (7).

وحتى في مجال الإيمان بالله والاعتراف بوجوده لم يستعمل الله أسلوب القسر والجبر مع الإنسان مع قدرته على ذلك لماذا؟ حتى يمارس الإنسان حرية حياته الكاملة في هذه الحياة. يقول تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا} (8)، ويقول عز وجل: {وَلَوْ شَاءَ رَبَّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا} (9) ويقول جل وعلا: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} (10).

#### القضاء والقدر:

أساء بعض الناس فهم مصطلحات الإسلام، وأخطأوا في تأويل آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كاصطلاح القضاء والقدر وأيات الضلال والهدي، وتصوروا أنها تعني شيئاً من الجبر والتّحديد لحرية الإنسان و اختياره. ولا نريد في هذا الدرس أن نخوض غمار هذا الموضوع ولكننا نشير إلى أن آيات القرآن ومفاهيمه كل مترابط لا تناقض فيه، ولا اختلف، وحينما نفهم من بعض الآيات تناقضاً مع آيات أخرى فعلينا أن نتهم فهمنا وليس القرآن. جاء رجل شامي يسأل الإمام علياً(عليه السلام) بالسؤال التالي: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء وقدر؟.

وعرف الإمام أن الرجل أساء فهم معنى القضاء والقدر وتصورهما نوعاً من الجبر والقسر والتّحديد لحرية الإنسان ، فرد عليه فوراً بكلام طويل جاء فيه: "ويحك لعلك ظنت قضاء لازماً وقدراً حاتماً، ولو كان ذلك كذلك لبطل الشّواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد. إن الله سبحانه أمر عباده تخيراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً..." (11).

والقدر لغة هو: "حدّ كل شيء ومقداره وقيمة وثمنه".

والقضاء هو: "إحکام أمرٍ وإتقانه وانفاذه لجهته" كما يقول اللغوي المعروف أَحمد بن فارس في كتابه [المقاييس] (12).

ويروي الكليني عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في تعريف القدر والقضاء قوله: "القدر: هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء. والقضاء: هو الإبرام وإقامة العين" (13).

فالقدر هو الحدود والأنظمة والسنن والقوانين التي وضعها الله في الكون والحياة. يقول الإمام علي (عليه السلام): "قدّر ما خلق فأحکم تقديره" (14).

والقضاء هو نفاذ تلك السنن والأنظمة وانطباقها بالفعل، يقول الإمام (عليه السلام): "بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ إِمَّا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقْنِ وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ" (15).

لذلك يروي الأصبهن بن نباتة أنَّ أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) عدل من حائط مائل إلى حائط آخر سليم فقيل له: يا أمير المؤمنين أتفر من قضاء الله؟ قال (عليه السلام): "أَفَرَّ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ إِلَى قَدْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" (16).

فلو وقف الإمام في ظلِّ الجدار المائل إلى السقوط فسقط عليه وأصيب لكان ذلك مصداقاً لقضاء الله بإنفاذ قانون.

أما ابعاد الإمام إلى جدار سليم فهو مصدق لقدر الله بالاستفادة من قانون يؤمن بالسلامة والحماية.

### الوراثة والتربية:

وجاء العلم الحديث فاعترف للوراثة بأثرها الكبير في توجيه حياة الإنسان ليس فسيولوجياً فقط وإنما سيميولوجياً وسلوكياً. وأعطى للتربية دورها البعيد في صياغة نفس الإنسان وتحديد ممارسته.

وليست هذه حقيقة جديدة على الدين فهو يؤمن بدور الوراثة والتربية في توجيه الإنسان، ولكن في حدود لا تسمح لها بسلب حرية الإنسان و اختياره، فالعامل الوراثي والتربوي لا يعدو أن يكون عاملاً مساعدًا يدفع الإنسان لسلوك اتجاه ما في حياته، ولكن القرار الأخير والفهماني بيد الإنسان نفسه، فباستطاعته أن يسير على طريق أبيه وعلى منوال بيته، وبإمكانه أن يتمرس على كل ذلك ويسلك طريقاً آخر.

فابن نبي الله نوح(عليه السلام) لم يرث إيمان آبائه ولم يتمسك بمبادئهم، يقول القرآن الكريم:{ وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنْيَ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ . قَالَ سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصُمِنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحْمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ } (17).

وفي التاريخ الكثير من النماذج والأمثلة التي تثبت حرية الإنسان في التمرد على عادات أهله وتقاليد مجتمعه. فهذا مصعب بن عمير وقد تولّد من أصلاب جاهلية متربفة، يتمرد على جاهلية أهله وترفهم وينضم إلى صفوف الفقراء والعبيد من طلائع الإسلام، وفي حياتنا المعاصرة نشاهد الكثيرين ممن ولدوا في أحضان الرأسمالية وتلقوا تربية برجوازية مستكبرة يثورون على واقعهم وينضمون إلى صفوف المتمردين والثائرين.

وفي مجال الصفات النفسية والسلوك والأخلاق، ليس هناك تطابق حتمي، وتتوافق دائم، بين الأبناء وعواوئلهم التي انحدروا منها، فكم من عائلة صالحة تبتلي بولد سيء فاسد، وكم من ولد صالح انحدر من عائلة شريرة.

لقد كان الجارود العبداني صاحبياً جليلًا مستقيماً في السيرة والسلوك حتى استشهد في سبيل الله، وكان له ولد يقال له: المنذر بن الجارود، وضع الإمام علي (عليه السلام) فيه ثقته، وولاه ع لي بعض النواحي، مؤملاً فيه الصلاح لمعرفته بجلالة قدر أبيه الجارود. لكن ما حصل هو العكس من ذلك حيث خان الأمانة فكتب إليه الإمام (عليه السلام) كتاباً يؤنبه فيه على خيانته ويعزله عن منصبه.

جاء في ذلك الكتاب:

"أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ عَرَّفَنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدِيهِ، وَتَسْلُكُ سَلِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِيَ إِلَيْ عَنْكَ لَا تَدْعُ لِهَوَاهُ إِنْقِيادًا، وَلَا تُبْقِي لِآخِرِتَكَ عَتَادًا، تَعْمَرْ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرِتَكَ، وَتَصْلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ " (18).

### مظاهر الحرية:

وكما خلق الله الإنسان حرًا أراد له أن يعيش حرًا، وأن يمارس إرادته واختياره، ولم يسمح الله تعالى لأي أحد أن يسلب من الآخر إرادته أو أن يقف مانعاً له من ممارسة حريته، فالرسالات السماوية تعترف للإنسان بحريته وتحمي حريته، وال المجالات التي يمكن للإنسان أن يستعمل فيها حريته في الإسلام هي بسعة الحياة وأبرزها ما يلي:

١- حرية الرأي والتفكير: فلا يصح أن تجبر إنساناً ما على اعتناق عقيدة معينة: { لا إكراه في الدين } (١٩) ، { أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } (٢٠) ، { فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكُفِرْ } (٢١) ، ويقول الإمام علي(عليه السلام): "إِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أَكْرَهَ عَمِي" (٢٢) ، وفي ظل الحكم الإسلامي عاش اليهود والنصارى محتفظين بديانتهم وعقائدهم.

وما عدا الأصول الأساسية لعقيدة الإسلامية، يتمتع الإنسان المؤمن بحريةاته الكاملة في الإيمان بسائر المفاهيم الثانوية، ما لم تصل إلى حد المساس بالعقائد الأساسية. فمثلاً: عالم الذر بتفصيله المعروف، للإنسان حريته في أن يؤمن به أو لا يؤمن فإذا ثبت لديه واقتنع بصحته آمن وإلا فليس مسؤولاً عنه فلا يجبر على ذلك.

وأما القضايا الكونية والطبيعية العلمية فقد أوكلها الدين إلى تفكير الإنسان ومستوى علمه، فلم يفرض عليه مثلاً: الاعتقاد بحركة الأرض ودوران الشمس.. كما كانت الكنيسة المسيحية في العصور الوسطى تفرض على المجتمع المسيحي آراءها المتعسفة في هذا المجال وتکفر وتقتل كل من يخالفها الرأي في ذلك.

٢- حرية القول والمعارضة: وللإنسان في ظل الإسلام الحق في أن يقول ما يشاء وأن يعارض ما يراه انحرافاً أو مخالفة.

وفي العصر الإسلامي الأول كان المسلمون يمارسون هذه الحرية غالباً بشكل رائع وجريء، فقد كان الرجل العادي يعترض على الخليفة ويناقشه، وكانت المرأة العادمة تحتج على قرار الخليفة وتضطره إلى سحبه، كما حدث ذلك في عهد الخليفة عمر، ففي [السنن الكبرى] للبيهقي وردت الحادثة التالية:

" خطب عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وقال: ألا لا تغالوا في صداق النساء فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، أو سيق إليه، إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال. ثم نزل فعرضت له امرأة من قريش، فقالت: يا أمير المؤمنين أكتاب الله تعالى أحق أن يتبع أو قوله؟

قال: بل كتاب الله تعالى. فما ذاك؟

قالت: نهيت الناس آنفاً أن يغالوا في صداق النساء والله تعالى يقول في كتابه: { وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً } (٢٣).

فقال عمر(رضي الله عنه): كُلْ أَحَدْ أَفْقَهْ مِنْ عَمْرٍ. مرتين أو ثلثاً، ثم رجع إلى المنبر فقال للناس: إِنِّي كُنْتُ نَهِيَتُكُمْ أَنْ تَغَالِوْ فِي صِدَاقِ النِّسَاءِ، أَلَا فَلِيَفْعُلْ رَجُلْ فِي مَالِهِ مَا بَدَأَهُ " (24).

ومرّة جاءت امرأة إلى الإمام علي (عليه السلام) تشكو أحد ولاته، فما كان من الإمام إلا أن رحب بشكواها ودفع إليها كتاباً بعزل ذلك الوالي.

تقول سودة بنت عمارة الهمданية في حديثها عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): والله لقد جئته في رجل كان قد ولّه صدقاتنا، فجار علينا فصادفته قائماً يصلي، فلما رأني إنقتل من صلاته، ثم أقبل على برحمة ورفق وتعطف، وقال: ألمك حاجة؟ قلت: نعم. فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال: اللهم أنت الشاهد على وعليهم أني لم أمرهم بظلم خلقك، ثم أخرج قطعة جلد، فكتب فيها:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ { قَدْ جَاءَتُكُمْ بَيْنَةً مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (25).

فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام.

ثم دفع الرقعة إلى، فوالله ما ختمها بطين ولا خزناها، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولاً" (26).

وروى المؤرخون: أن الحريث بن راشد السامي كان عدواً للإمام علي (عليه السلام) فجاءه قائلاً: والله لا أطعت أمرك، ولا صلّيت خلفك. فلم يغضب لذلك، ولم يبطش به، ولم يأمر له بالسجن أو العقوبة، وإنما دعاه إلى أن يناظره حتى يظهر أيهما على حق، ويبين له وجه الحق لعله يتوب. فقال له الحريث: أعود إليك غداً.

فقبل منه الإمام فانصرف الرجل إلى قومه ولم يعد" (27).

والنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة المعصومون (عليهم السلام) كانوا يتتحققون المجال للآخرين أن يعلنوا آراءهم وأن يتحدثوا بحرفيتهم، وإن كانت آراؤهم

تخالف آراء الأئمة وعندها يقوم الإمام بإقناع الطرف المقابل بوجهة نظره.

فالنبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) لما رأى أحد العرب مرتكباً في إبداء رأيه، قال له: "هَوْنَ عَلَيْكَ فَلَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا إِبْنُ إِمْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدَّ" (28).

والإمام علي حينما بايعته جماؤه لأئمة، أبي بعض الصحابة كعبد الله بن عمر أن يبايعوا الإمام، فاقتصر البعض على الإمام أن يجرهم على البيعة فرفض إجبارهم.

جاء في [تاریخ الطّبری]: وخرج علی إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وطاق وعمامة خز، ونعلاه في يده، متوكّناً على قوس، فبایعه النّاس وجاؤوا بسعـد بن أبي وقاـص.

فقال علی: بـایع.

قال: لا أـبـایع حتـى يـبـایع النـاس، والله ما عـلـيـكـ منـيـ بـأـسـ.

قال: خـلـوـا سـبـیـلـهـ.

وجـاؤـوا بـإـبـنـ عـمـرـ عبدـ اللهـ. فـقـالـ: بـایـعـ.

قال: لا أـبـایـعـ حتـى يـبـایـعـ النـاسـ.

قال: إـئـتـنـيـ بـحـمـيـلـ كـفـيـلـ.

قال: لا أـرـىـ حـمـيـلـاـ.

قال الأـشـتـرـ: حلـ عـنـيـ أـضـرـبـ عنـقـهـ.

قال عـلـيـ: دـعـوـهـ أـنـاـ حـمـيـلـهـ" (29).

والإـمامـ الحـسـنـ بنـ عـلـيـ مـاـ صـالـحـ مـعـاوـيـةـ صـارـحـهـ الـكـثـيرـ مـنـ أـصـحـابـهـ بـمـعـارـضـتـهـمـ.

يـقـولـ السـيـوطـيـ: إـنـ بـعـضـ أـصـحـابـهـ كـانـواـ يـقـولـونـ لـهـ: يـاـ عـارـ الـمـؤـمـنـينـ!!

فيـقـولـ(عـلـيـهـ السـلـامـ): عـارـ خـيـرـ مـنـ النـارـ.

وـقـالـ لـهـ رـجـلـ: السـلـامـ عـلـيـكـ يـاـ مـذـلـ الـمـؤـمـنـينـ.

فـقـالـ: لـسـتـ بـمـذـلـ الـمـؤـمـنـينـ وـلـكـنـيـ كـرـهـتـ أـنـ أـقـتـلـكـمـ عـلـىـ اـمـلـكـ (30).

3- حرية العمل والتصرف: فالإسلام يمنح الإنسان حرية الكاملة في أن يعمل ما يريد ويتصرف كما يشاء، فلا يمنعه من التملك الفردي أو التعامل التجاري أو النشاط الاجتماعي، بشرط أن لا يكون في تصرفه تعد على حقوق الآخرين وحربيتهم أو إضرار بالمصلحة العامة.

ولا يسمح الإسلام بمصادرة حريات الناس وإجبارهم على عمل أو موقف لا يريدونه، يقول الإمام علي (عليه السلام): "وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون" (31).

### لماذا الحدود والعقوبات:

وقد يتساءل بعضكم عن الحدود والعقوبات التي وضعها الإسلام على بعض الجرائم كالزنـا والـخـمـرـ والـسـرـقةـ أـلـيـسـ فـيـهاـ تـحـجـيمـ لـحـرـيـةـ الـإـنـسـانـ وـاعـتـدـاءـ عـلـىـ إـرـادـتـهـ واختـيـارـهـ؟

**الجواب:**

أولاً: المحرّمات التي منع الله الإنسان منها إنما تعني مناطق الضرر والشقاء لحياة الإنسان وراحته، والله تعالى لا يسمح للإنسان بأن يؤذى نفسه ويُشقها { ولا تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } (32).

ثانياً: إنَّ أَغلب هذِهِ الجرائم تتعدّى آثارها حدود الإنسان نفسه إلى حدود الآخرين وحرّياتهم، فالسرقة اعتداء على الآخرين والزنا واللواء حتى الخمر يسبب ذلك.. والإسلام لا يتيح للإنسان مجال الاعتداء على راحة الغير.

ثالثاً: محاسبة الإنسان على ما ألزم به نفسه لا تشکل اعتداء على حرّيته، فمثلاً: أنت حرٌ في أن تزورني غداً أو لا تزورني ولكنك إذا وعدتني بذلك وجلست أنتظرك ولم تأت حسب الموعد، فيتحقق لي حينئذ أن أحاسبك: لماذا تأخرت وماذا لم تأت؟ فهل من المعقول أن تجيبني لأنك حرٌ صحيح أنك حرٌ ولكنك ألزمت نفسك بالوعد.

لذلك يقول الإمام علي(عليه السلام): "الْمَسْؤُلُ حُرٌ حَتَّى يَعَدَ" (33). والعامل له حرّيته الكاملة أن يعمل في بيتك أو لا يعمل، ولكنه إذا عقد معك اتفاقية أصبح ملزماً بذلك، وهو باختياره قد ألزم نفسه.

فكذلك الإنسان حينما يؤمن بالإسلام ويُعتنقه يكون قد ألزم نفسه بإتباع نظمه وقوانينه، وكأنه قد وقع اتفاقية يقوم بمُؤْدَاهَا بالأعمال المفروضة، ويتجنب الأعمال المحرمة، وما دام قد اختار هو نفسه الإسلام ولم تفرضه عليه قوّة أخرى وبحرّيته وقع الاتفاقية، فعليه مسؤولية الالتزام فإذا ما خالف وشرب الخمر أو زنا.. يكون مسؤولاً ومحاسباً.

ولكن هل الإسلام يحاسب المسيحيين على شرب الخمر أو ترك الصوم؟ أو هل يحاسب المجروس على نكاح محارمهم؟ طبعاً في الدنيا لا يحاسبهم على ذلك لأنهم لم يختاروا الإسلام، أما الآخرة فذلك موضوع آخر.

**كيف يستعبد الإنسان:**

بعد أن عرفنا أنَّ الله تعالى خلق الإنسان حرّاً، وضمن له حرّيته في هذه الحياة بشرائعه ورسالاته، بقي علينا أن نعرف: من يسلب حرية الإنسان ويفرض عليه العبودية؟ وما هو موقف الدين وخاصة [نهج البلاغة] من هذه الجهات التي تصادر حرية الإنسان؟

١- الغرائز والشهوات: فخرائز الإنسان وشهواته الحيوانية قد تفرض عليه ما يخالف منطق عقله وضميره، فإذا لم يكن الإنسان شجاعاً فسيقع تحت تأثير هذه الغرائز ويُخضع لها، متنازلاً عن حريته، فيصبح عبداً لشهواته لا يستطيع مخالفتها. يقول الإمام في [نَهْجَه]: "وَكَذَلِكَ مَنْ عَظَمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ - يَعْنِي شَهْوَاتِ الدُّنْيَا - وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا فِي قَلْبِهِ، آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنْقَطَعَ إِلَيْهَا، وَصَارَ عَبْدًا لَهَا" (34).

ويقول (عليه السلام): "قَدْ خَرَقَتِ الشَّهْوَاتِ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلَهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَلَمَنْ فِي يَدِيهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُ مَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُ مَا أَفْلَكَتْ أَفْلَكَ إِلَيْهَا" (35).

وقال (عليه السلام): "لَا يَسْتَرْقِنَكِ الْطَّمَعُ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا" (36).

ويقول (عليه السلام): "مَنْ تَرَكَ الشَّهْوَاتِ كَانَ حُرًّا" (37)

٢- التقليد الأعمى: حيث يرى الإنسان الآخرين يقومون بعمل ما أو يسيرون في اتجاه ما، فيبادر إلى إتباعهم وتقليلهم دون أن يفسح المجال لتفكيره و اختياره، ودون أن يمارس حريته وإرادته. يقول الإمام في [نَهْجَه]: "أَلَا فَالْحَدَرُ الْحَدَرُ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكَبَرَائِكُمْ" (38).

٣- قوّة الآخرين وتسليطهم: فيمنعون الإنسان من ممارسة حريته ويفرضون عليه آراءهم وقوانينهم، يقول (عليه السلام): "اتخذتم الفراعنة عبيداً فساموه سوء العذاب وجرعواهم المُرَار" (39).

ويُعالج الإسلام هذه المشكلة من جانبين: جانب المستسلط المستعبد حيث يمنعه من سلب حريات الناس، وجانب المستعبد الذليل حيث يحفّزه على المطالبة بحرية، وينعنه من الرُّضوخ والاستسلام.

ففي الجانب الأول يقول الإمام علي (عليه السلام): "شَرُّ النَّاسِ مَنْ يَتَّقِيَهُ النَّاسُ مَخَافَةً شَرِّهِ" (40).

ويقول الإمام في [نَهْجَه] وفي عهده مالك الأشتر: "وَأَشْعَرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعْيَةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللَّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَ عَلَيْهِمْ سَبْعَاً ضَارِيًّا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صَنْفَانٌ: إِمَّا أَخْ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخُلُقِ" (41).

ويقول (عليه السلام): "وَلَا تُقْسِرُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى أَخْلَاقِكُمْ، فَإِنَّهُمْ خُلِقُوا لِزَمَانٍ غَيْرَ زَمَانِكُمْ" (42).

وفي الجانب الثاني يحاسب الله الخانعين على استسلامهم لمن يسلب حرياتهم، يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٌ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَا كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا

مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَا جَرُوا فِيهَا فَأَوْلَئِكَ مَا وَاهِمْ جَهَنَّمْ وَسَاءَتْ مَصِيرًا {43} .

ويقول الإمام في [نهجه] الخالد: "لَا تَكُنْ عَبْدًا غَيْرَكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا" (44) .

ويقول (عليه السلام): "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ آدَمَ لَمْ يَلِدْ عَبْدًا وَلَا أُمَّةً وَإِنَّ النَّاسَ كُلُّهُمْ أَحْرَارٌ" (45) .

ومن شعارات ثورة الإمام الحسين (عليه السلام): "كُونُوا أَحْرَارًا فِي دُنْيَاكُمْ" (46) .

ويقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوْضَ إِلَى الْمُؤْمِنِ أُمُورَهُ كُلُّهَا وَلَمْ يُفْوِضْ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِيلًا أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: {وَلَهُ الْعَزَّةُ وَلَرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (47) . فَالْمُؤْمِنُ يَكُونُ عَزِيزًا وَلَا يَكُونُ ذَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَعَزُّ مِنَ الْجَبَلِ إِنَّ الْجَبَلَ يَسْتَقْلُ مِنْهُ بِالْمَعَاوِلِ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَسْتَقْلُ مِنْ دِينِهِ شَيْءٍ" (48) .

---

(1) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 31).

(2) سورة فصلت: (الآية: 11).

(3) سورة يس: (الآية: 38-40).

(4) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 143).

(5) سورة ص: (الآية: 71-72).

(6) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 1).

(7) سورة الحج: (الآية: 18).

(8) سورة الأنعام: (الآية: 107).

(9) سورة يونس: (الآية: 99).

(10) سورة الإنسان: (الآية: 3).

(11) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: 78).

(12) [الإلهيات]: الشيخ جعفر السبحاني (ج 1/ص 524)، الطبعة الثانية (1409هـ) المركز العالمي للدراسات الإسلامية - قم.

(13) [الأصول من الكافي]: الكليني الرازي (ج 1/ص 158)، الطبعة الثالثة (1388هـ) دار الكتب الإسلامية - طهران.

- (14) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 91).
- (15) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 182).
- (16) [الإلهيات]: الشيخ جعفر السبحاني (ج 1/ص 503).
- (17) سورة هود: (الآلية: 42-43).
- (18) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 71).
- (19) سورة البقرة: (الآلية: 256).
- (20) سورة يونس: (الآلية: 99).
- (21) سورة الكهف: (الآلية: 29).
- (22) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: 193).
- (23) سورة النساء: (الآلية: 20).
- (24) [السنن الكبرى]: الحافظ البيهقي (ج 7/ص 233)، دار صادر - بيروت.
- (25) سورة الأعراف: (الآلية: 58).
- (26) [علي من المهد إلى اللحد]: محمد كاظم القزويني (ص 269) الطبعة الحادية عشرة (1982)، مؤسسة الوفاء - بيروت
- (27) [السبيل إلى إنهاض المسلمين]: السيد محمد الشيرازي (ص 449).
- (28) [بحار الأنوار]: محمد باقر المجلسي (ج 16/ص 229) الطبعة الثانية (1983م)، مؤسسة الوفاء - بيروت.
- (29) [تاريخ الأمم والملوك]: محمد بن جرير الطبرى (ج 3/ص 451)، مؤسسة الأعلمى - بيروت.
- (30) [تاريخ الخلفاء]: جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
- (31) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 208).
- (32) سورة البقرة: (الآلية: 195).
- (33) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: 336).
- (34) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 160).
- (35) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 109).
- (36) [غرس الحكم ودرر الكلام]: عبد الواحد الآمدي.
- (37) [غرس الحكم ودرر الكلام]: عبد الواحد الآمدي.
- (38) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 192).

- (39) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 192)..
- (40) [غrrr الحكم ودرر الكلام]: عبد الواحد الأمدي (ج 1 / ص 406).
- (41) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 53).
- (42) [شرح نهج البلاغة]: ابن أبي الحديد (ج 20 / ص 267).
- (43) سورة النساء: (الآلية: 97).
- (44) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 31).
- (45) [نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة]: محمد باقر المحمودي (ج 1 / ص 198) مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- (46) [اللهوف في قتل الطفوف]: ابن طاووس (ص 52)، الطبعة الثانية (1950م).
- (47) سورة المناافقون: (الآلية: 8).
- (48) [الكاف]: الكليني الرازي (ج 5 / ص 63).

**المسؤولية في نهج البلاغة**

قال الإمام علي (عليه السلام) في [نهج البلاغة]:  
 "إِنْقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْؤُلُونَ حَتَّىٰ عَنِ الْبُقَاعِ وَالْبَهَائِمِ" (١).

**واقع الأمة المأساوي:**

تعيش أمتنا الإسلامية في هذا العصر وضعًا مأساويًا متربديًا جدًا. فالإسلام الذي هو مبعث نهضة الأمة ومصدر حيويتها وكرامتها قد طرد من مسرح الحياة وسجن في زوايا الكتب وصدور العلماء، وحُوصر في حدود التقاليد والعادات والطقوس.

والاستعمار لا يزال يحتل أجزاء عزيزة من ربوع الوطن الإسلامي، فالمسجد الأقصى أولى القبلتين ومسرى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت هيمنة شراذمة اليهود الغاصبين... والنعرات القومية والتكتلات الحزبية والمصالح الأنانية لا تزال تمعن في تمزيق جسم الأمة وتقطع أشلاءها.

والبؤس والفقير هما سمة الشعوب الإسلامية مع ما تملك من ثروات طائلة وأراضي خصبة معطاءة.

**والتخلف الشامل يلف كل جوانب حياة الأمة ويسيطر على أجوائها..**

والميوعة والفساد والإنحراف أصبح المصير الذي ينتظر كلّ أبناء الأمة وأجيالها المقبلة.

والاستبداد السياسي والقمع والإرهاب وانتهاك حقوق الإنسان ومصادر الحرّيات هي عناوين واقع حياة أغلب الشعوب الإسلامية.

إذاء هذا الواقع المؤلم الذي نعيشه لو تصفحنا مواقف الناس من أبناء الأمة لوجدناها تتمثل في المواقف التالية:

### أولاً - موقف اللامبالاة:

وهو الموقف الذي يضم غالبية أفراد الأمة حيث لا يتعدى تفكير كل فرد حدود نفسه ومصالحه الذاتية، ففي أثناء شبابه يجتهد في إكمال دراسته وينتظر البعثة لـ مو اصلة الدراسات العليا في الخارج، ثم يعود ليبحث عن وظيفة مغربية وشقة فارهة وسيارة من آخر موديل وزوجة جميلة... أو يتوجه إلى التجارة والأعمال الحرة فيفتح الدكان بعد الآخر، ويشيد العمارة إلى جنب الأخرى، ويتكيف حسب الواقع المعاش، يتلذذ بالطعام الشهي، والشراب المنعش، والأجواء المرحة.. ولا يهمه بعد ذلك آلام أمته وماي وطنه وأوضاع مجتمعه...

إنك لا تجد في حياة هذا القطاع الواسع من الأمة فرقاً كبيراً عن حياة الحيوانات التي لا تفگر في أكثر من أكلها وشربها ولا يهمها بعد ذلك في أيّ جو تعيش.. أترى لو أنك ربطت بقرة في مزرعة أو بستان هل تهتم هذه البقرة في معرفة مساحة البستان أو حدوده أو صادراته أو مصروفاته؟؟!! كلاً إنها تهتم فقط بوجبات العلف التي تقدم إليها!! تماماً كما يهتم الإنسان اللامبالي بأكله وشربه وملذاته.. فهل تلاحظ بينهما كبير فرق؟؟

وقد تحدّث الإمام علي (عليه السلام) في [نهج البلاغة] مشيراً إلى حيوانية هذا الموقف معلناً رفضه لموقف اللامبالاة، يقول (عليه السلام): "ولو شئت لاهتديتُ الطريق إلى مُصْفَى هَذَا الْعَسْلِ، وَلَبَابُ هَذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِحُ هَذَا الْقَزْ، وَلَكِنْ هَيَّاهَا أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَاهِي، وَيَقْوُدَنِي جَشْعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعَمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقِرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبَعِ، أَوْ أَبْيَتَ مِنْطَانِي وَحَوْلِي بِطُونَ غَرْثِي - جائعة - وَأَكْبَادُ حَرَّى... فَمَا خُلِقْتُ لِيُشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيَّابَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوَطَةِ هَمْهَا عَلْفُهَا، أَوْ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقْمِمُهَا... "(2).

ويقول أيضاً (عليه السلام): " أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ - الْحَيْوَانُ الَّذِي يَرْعِي فِي الْعَشْبِ - مَنْ رَعَيْهَا فَتَبَرُّكَ، وَتَشْبُعُ الرِّبِيْضَةُ - الْحَيْوَانُ الْمَرْبُوطُ الَّذِي يَعْلُفُ - مَنْ عَشِيْهَا فَتَرِبَضُ؟ وَيَأْكُلُ عَلَيْ مِنْ زَادَهُ فَيَهْجُعَ - يَسْكُنُ وَيَرْتَاحُ -؟ قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ إِذَا افْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَالِوَةَ بِالْبَهِيَّةَ الْهَامِلَةَ، وَالسَّائِمَةَ الْمَرْعِيَّةَ؟ ! " (3).

ويقول (عليه السلام): " أَوْ مَنْهُومًا بِاللَّدَّةِ، سَلَسَ الْقِيَادَ لِلشَّهْوَةِ، أَوْ مُغْرِمًا بِالْجَمْعِ وَالإِدْخَارِ، لَيْسَا مِنْ رُعَاءِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، أَقْرَبَ شَيْءٍ شَبَهَهَا بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ " (4).

### ثانياً - الاهتمام السلبي:

وهنا قسم من الناس يدركون مدى التخلف والانهيار العميق الذي تعيشه الأمة ويتألمون للأوضاع المأساوية التي تُعاني منها، ولكنهم يلقون بالمسؤولية على عاتق المجهول، فلا يرون لأنفسهم نصيباً في تحمل مسؤولية ما يجري ولا يلزمون أنفسهم بالقيام بأي دور تغييري.

فمسؤلية الواحد منهم تنتهي عند حدود إصلاح نفسه، فعليه أن يحافظ على الصلاة وأن يؤدي الحقوق الشرعية، وأن يتجنب المحرمات، وحينما تحين منه إلتفاتة إلى الواقع المؤلم، يكرر: " لا حول ولا قوة إلا بالله "، و " إنَّ اللَّهَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ "، ويحمد الله على نجاته شخصياً من الانحراف مردداً قول شاعرهم:

وَمَا أَبِالَّيْ إِذَا نَفْسِي تَطَاوَعْنِي  
عَلَى النِّجَاةِ بِمَنْ قَدْ ضَلَّ أَوْ هَلَّكَ

فهل صحيح أنَّ الإنسان مكلف بإصلاح نفسه فقط، وما عليه بعد ذلك إذا فسد العالم كله؟ وهل صحيح أيضاً أنَّ الله سيحاسبنا يوم القيمة عن الصلاة والصوم والوظائف الشخصية فقط، وسوف لا يطالينا بأي عمل اجتماعي أو دور إصلاحي؟ هذا ما سيتضح الجواب عليه خلال الفقرة التالية.

### ثالثاً - موقف المسؤولية:

ويعني: أن يعتبر الإنسان نفسه مسؤولاً عما يحده، ويرى نفسه مطالبًا بالقيام بدور لإصلاح الواقع المعاش، ويعتقد أنَّ الله سبحانه وتعالى سيسأله ويحاسبه يوم القيمة عن دوره في المجتمع ومسؤوليته في الحياة، وهذا هو الموقف الصحيح الذي تفرضه الحقائق التالية:

١ - لو سألنا الله تعالى عن الهدف الذي أوجدنا من أجله على سطح هذه الكرة الأرضية، لوجدنا الجواب من قبل الله صريحاً في آيات القرآن الكريم التي تعلن أنّ الهدف من وجودنا على ظهر الأرض، هو إصلاح الأرض وعمارتها، فالإنسان خليفة الله في الأرض وممثله ونائبها على ظهر هذا الكوكب.

فعند خلق آدم أبي البشر، قال الله تعالى للملائكة: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (٥)، وفي آية أخرى يقول تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ} (٦)، ويقول تعالى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَإِسْتَعْمَرْكُمْ فِيهَا} (٧).

وإذا كُنَّا خلفاء الله في الأرض ونوابه وألممثليون له، ألسنا بعد ذلك مسؤولين عما يجري على الأرض؟ فالتجربة التي يختلف في متجره خليفة عنه أليس من حقه أن يحاسبه عما يجري في المتجر؟ والرجل الذي يعين ممثلاً له في أحد أعماله وشؤونه ألا يتنتظر من ذلك الممثل الإصلاح ودفع الأضرار؟

وبالضبط فإنّ الله حينما يجعلنا خلفاءه في الأرض سيطالينا بإصلاحها وبمكافحة الفساد على وجهها: {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} (٨)، {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ قَبْلَكُمْ أَوْلُوا بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ} (٩)، {الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَرِ} (١٠).

وبعد أن عرفنا أنّ الهدف من وجودنا هو عمارة الأرض وإصلاحها وإقامة الخير والحق على ربوعها، هل يصحّ لنا أن نأخذ موقف المتفرج والمشاهد للمأساة التي تحدث أمامنا على وجه الأرض؟

يقول الإمام علي(عليه السلام) في[نهجه] الخالد: "فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبُقَاعِ وَالْبَهَائِمِ" (١١).

٢ - وهذا الدين الإسلامي العظيم الذي أنزله الله ليُنقذ به حياة البشرية من شقاء الجهل والانحراف، ويحلّق بهم في أجواء السعادة والكمال...هذا الدين هل أنزله الله ليُبقى في حدود الممارسات الفردية، أم أنزله لينظم كلّ جوانب الحياة؟ لا يشكّ مسلم في أنّ الله تعالى إنما أنزل الإسلام ليسود المعمورة ويوجه البشرية جمعاً، يقول القرآن الكريم: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} (١٢).

ويقول تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} (١٣).

وفي آية أخرى:{ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ إِمَّا أَرَاكَ اللَّهُ {14} }.

ولكن كيف يطبق الإسلام في الحياة؟

هل يكون ذلك عن طريق تدخل مباشر من قبل الله لأن ينزل ملائكته أو يرسل جنًا، يفرضون الإسلام ويجسدونه في واقع الحياة؟ أو هل يهلك الله بشكل غبي كل من لا يتزلم بالإسلام؟

إن التدخل السماوي المباشر يفقد الحياة قيمتها، فالحياة الدنيا إنما خلقها الله لتكون قاعة ابتلاء وامتحان يأخذ البشر فيها حرفيتهم الكاملة... وإنما يريد الله تطبيق الدين عن طريق البشر أنفسهم، حيث يقوم الملتمون بالدين بدورهم في العمل والنشاط والجهاد من أجل تطبيق الدين، تماماً كما أن النظم المعاصرة كالشيوعية والرأسمالية لها جهات وأجهزة وأناس يعملون على نشرها وتطبيقها، فكذلك الإسلام يجب أن يعمل أبناءه على نشره وتطبيقه.

وحينما فرض الله تعالى علىبني إسرائيل محاربة أعدائهم فتكاسلوا وطلبو من الله أن يقوم هو مع نبيه بالمهمة، فبماذا أجابهم الله، وماذا كان مصيرهم؟  
يحدثنا القرآن الكريم عن القصة فيقول:{ يَا قَوْمَ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنَقْلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يُخْرُجُوهُ مِنْهَا إِنَّ يَخْرُجُوهُ مِنْهَا إِنَّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلُانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَا فُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا قَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتَلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَأَفْرَقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ }{15} .

فإذا كُنّا نعتقد أن الإسلام إنما أنزله الله ليطبق في الحياة، وأن الله لا يتدخل غيباً لتطبيقه، فإن مسؤولية تطبيق الإسلام في الحياة ستكون على عاتقنا نحن المؤمنين. يقول تعالى:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }{16} .

{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ }{17} . من هنا نعرف أن مسؤوليتنا تتعدى حدود الالتزام الفردي بالإسلام إلى مسؤولية التغيير الاجتماعي والإصلاح العام وفق مبادئ الإسلام.

٣ - وإذا بقي المُتَدِّينُونَ ملتزمين بدينهم محافظين على صلاتهم وصومهم دون أن يكون لهم دور اجتماعي أو عمل تغييري، فماذا ستكون النتيجة؟ إنَّ النتيجة الحتمية لهذا التَّقَاعُسِ من جانب المُتَدِّينِ هي توسيع جبهة الباطل والفساد، وبالتالي سيطرة الظالمين والأشرار على المجتمع، واستيلاؤهم على أزمة الأمور، لأنَّ هذا هو منطق الحياة الاجتماعية وطبيعتها.

يقول تعالى: {وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} (١٨). وبعد أن يسيطر الأشرار على المجتمع، ويحكمون قبضتهم على شؤونه، عندها هل يسلم المصلون الصائمون من ظلم الأشرار ومضايقاتهم، أم سيكونون أول ضحاياهم؟.

إنَّ تجارب التاريخ وأحداث الماضي تدلُّ على أنَّ الأشرار حينما يتسلّكُون زمام المجتمع سوف لا يتسلّلون مع أي بريء أو هادئ، وسوف لا يتربّصون بالمصلين يؤذّون صلاتهم وطقوسهم بحرية وراحة.

فما العلاج إذًا؟.. إننا في حاجة إلى الوقاية قبل أن نضطر إلى العلاج، وذلك بأن نبدأ بمكافحة الفساد والظلم والانحراف، قبل أن يتفاقم ويستولي علينا وينعنا حتى عن الالتزام الفردي بالواجبات، وهذا هو الحل الذي يفرضه علينا الدين. يقول تعالى: {وَاتَّقُوا فَتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} (١٩).

ويقول الإمام (عليه السلام): "لَا تَرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيَّ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّ عَلَيْكُمْ شَرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَحَابُ لَكُمْ" (٢٠). وفي موضع آخر من [نهج البلاغة] يقول الإمام (عليه السلام): "لَوْلَمْ تَتَخَذُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهْنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيهِمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلُكُمْ وَلَمْ يَقُوْمْ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ" (٢١).

٤ - إنَّ الدِّينَ يحملنا - بصراحة - مسؤولية سوء الأوضاع، ويفرض علينا العمل من أجل تغييرها وإصلاحها، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان شرعيتان لا تقلان عن الصلاة والصوم في مستوى الأهمية. يقول الله تعالى:

{وَقَفُوْهُمْ إِنْهُمْ مَسْؤُلُونَ} (٢٢).

ويقول تعالى: {وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٢٣). ويقول الرسول محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (٢٤).

ويقول الإمام في [نهجه] العادل: "مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلَّمُوا" (٢٥). "وَالَّذِي قَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ، لَوْلَا حُضُورُ

الْحَاضِرُ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِلَّا يُقَارِبُوا عَلَى كَظْهَرِ ظَالِمٍ - شَدَّةِ امْتِلَاءِ الْبَطْنِ -، وَلَا سَغْبٌ مَظْلُومٌ - شَدَّةِ الْجُوعِ -، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا" (26).

بل ويعتبر الدين السكوت والتفرج على ما يجري، اشتراكاً عملياً في الجريمة يستحق به صاحبه العذاب والعقاب، فعن الإمام أبي جعفر محمد الباقر (عليه السلام): "إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى نَبِيِّهِ شُعَيْبَ أَنِّي مُعَذَّبٌ مِنْ قَوْمَكَ مَائَةَ أَلْفٍ، أَرْبَعِينَ مِنْ شَارِهِمْ وَسَتِينَ مِنْ خَيَارِهِمْ! قَالَ شُعَيْبٌ: يَا رَبِّ، هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارِ فَمَا ذَنْبُ الْأَخْيَارِ؟ قَالَ: لَأَنَّهُمْ دَاهَنُوا أَهْلَ الْمَعَاصِي وَلَمْ يَغْضِبُوا لِغَضَبِي" (27).

ويروي الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: "مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا، مُسْتَحْلِلًا لِحرَامِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، يَعْمَلُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوَانِ، فَلَمْ يُغَيِّرْ مَا عَلَيْهِ بِقَوْلٍ وَلَا بِفَعْلٍ كَانَ حَقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ مَدْخَلَهُ". (28).

وفي [نهج البلاغة] يقول الإمام (عليه السلام): "الرَّاضِي بِفَعْلِ قَوْمٍ كَالَّذِي أَخْرَجَ فِيهِ مَعَهُمْ" (29). ويقول (عليه السلام): "إِمَّا يَجْمَعُ النَّاسَ الرَّضِيَّ وَالسُّخْطُ، وَإِمَّا عَقَرَ نَاقَةً مُمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمِّهُمُ اللَّهُ بِالْعَدَابِ لِمَا عَمَّوْهُ بِالرَّضِيِّ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ" (30). (31).

ويقول (عليه السلام) أيضاً: "فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لَتَرَكُوهُمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايَةَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعْنَ اللَّهُ السُّفَهَاءُ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْحُلْمَاءُ لِتَرْكِ التَّنَاهِي" (32).

### الخلاصة:

- 1/ إن الواقع الذي نعيش فيه هو واقع مأساوي ومتخلف جداً.
- 2/ إن موقف اللامبالاة الذي يقفه أكثر الناس من أوضاع الأمة هو موقف لا إنساني يجعل الإنسان يعيش في نفس مستوى واهتمامات الحيوانات.
- 3/ موقف التفرج والسلبية من الأحداث هو الآخر موقف أناي خاطئ.
- 4/ أما الموقف الصحيح والسليم فهو تحمل المسؤولية والقيام بدور الإصلاح والتغيير.
- 5/ وهذا الموقف الأخير الواعي تفرضه عدة حقائق أهمها:

- أ - إنَّ الهدف من وجود الإنسان هو خلافة وتمثيل الله في الأرض.
- ب - وضرورة تطبيق الدين والذي لا يتحقق إلا بعمل المتندين.
- ج - وانطلاقاً من طبيعة الصراع بين الحق والباطل والتي تستلزم تضاد قوى الحق، وإلا انتصر الباطل وصادر حرية وكرامة أهل الحق.
- د - وأخيراً لأنَّ الدين يحملنا بكل صراحة مسؤولية ما يحدث، ويفرض علينا مواجهة الأحداث وتغيير دُفَّة سيرها.

- (1) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 167).
- (2) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 45).
- (3) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 45).
- (4) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: 147).
- (5) سورة البقرة: (الآية: 30).
- (6) سورة الأنعام: (الآية: 165).
- (7) سورة هود: (الآية: 61).
- (8) سورة يونس: (الآية: 14).
- (9) سورة هود: (الآية: 116).
- (10) سورة الحج: (الآية: 41).
- (11) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 167).
- (12) سورة التوبه: (الآية: 33).
- (13) سورة الحديد: (الآية: 25).
- (14) سورة النساء: (الآية: 105).
- (15) سورة المائدة: (الآية: 21-26).
- (16) سورة البقرة: (الآية: 143).
- (17) سورة آل عمران: (الآية: 110).
- (18) سورة البقرة: (الآية: 251).
- (19) سورة الأنفال: (الآية: 25).
- (20) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 47).
- (21) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 166).

- (22) سورة الصافات: (الآية: 34).
- (23) سورة آل عمران: (الآية: 104).
- (24) [صحيح مسلم]: (ج3/ص1459).
- (25) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: 478).
- (26) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 3).
- (27) [بحار الأنوار]: محمد باقر المجلسي (ج12/ص386) الطبعة الثانية (1983م)، مؤسسة الوفاء - بيروت.
- (28) [حياة الإمام الحسين]: باقر شريف القرشي (ج3/ص80)، الطبعة الأولى - مطبعة الآداب، النجف الأشرف (1976م).
- (29) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: 154).
- (30) سورة الشعرا: (الآية: 157).
- (31) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 201).
- (32) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 192).

## الجهاد في نهج البلاغة

يقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في [نهج البلاغة]:  
 "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجِهادَ بَابٌ مِّنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أُولَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسٍ التَّقْوَىِ، وَدَرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةِ، وَجُنْتَهُ الْوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ، أَلْبَسَهُ اللَّهُ تَوْبَ الدَّلْلِ، وَشَمَلَهُ الْبَلَاءُ، وَدَيْتَ بِالصُّغَارِ وَالْقَمَائَةِ - أَيْ ذُلْلٌ بِالصُّغَارِ وَالْإِهَانَةِ - وَضَرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ - التَّرْثِرَةِ - وَأَدِيلَ الْحَقَّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهادِ، وَسِيمَ الْخَسْفَ - أَيْ كَلْفَ الْمُشَقَّةِ - وَمِنْعَ النَّصَفِ" (1).

## أهمية الجهاد:

إنَّ من يطَّلع على مصادر التشريع الإسلامي من الكتاب والسنَّة يجد فيما تركيزاً كبيراً واهتمامًا ضخماً بموضوع الجهاد.. وفي القرآن الكريم ما يقارب (40 آية) تتحدث عن الجهاد بلفظ الجهاد ومشتقاته، كقوله تعالى:

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } (2).  
 { إِنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ } (3).

{ فَضَلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } (٤) .  
وهناك أكثر من (١٠٠ آية) تتحدث عن الجهاد بلفظ القتال ومشتقاته كقوله عز وجلّ:

{ فَقَاتَلُوا أَهْمَةَ الْكُفَّارِ إِنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ } (٥) .  
{ وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (٦) .  
{ وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْياءً عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } (٧) .  
بالإضافة إلى مجموعة من الآيات تتحدث عن الجهاد بلفظ الغزو وال الحرب والشهادة ومشتقاتها.

بينما لا نجد في القرآن الحكيم عن الحج إلا (٨ آيات) فقط، وعن الخمس آية واحدة لا غير، وعن الصوم (١٠ آيات) تقريرًا.

وحينما نرجع إلى السنة المطهرة نجد مئات الأحاديث والنصوص ترتكز على موضوع الجهاد وتقرر بصراحة: أنّ الجهاد أهم وأفضل من جميع الأعمال والعبادات الأخرى. فعن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): "فَوَقَ لِكُلِّ ذِي بِرٍ حَتَّى يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِذَا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ بَرٌ" (٨) .

ويقول الإمام محمد الباقر (عليه السلام): "الْجِهَادُ الَّذِي فَضَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ عَلَى الْأَعْمَالِ وَفَضَلَ عَامَلَهُ عَلَى الْعُمَالِ تَفْضِيلًا فِي الدَّرَجَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ" (٩) .

وفي مصدر واحد فقط من مصادر الحديث هو كتاب [وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشرعية] نجد (١٢٢٣ حديثاً) عن الجهاد وفضله وأحكامه وما يتعلق به.

وإذا ما قمنا بجولة عابرة في ربوع [نهج البلاغة]، فسنرى أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، يعطي للجهاد مكانة خاصة، ويرفعه إلى أعلى مستوى من الأهمية والتقدير، وينحه أعظم الصفات، حيث يقول (عليه السلام): "الْجِهَادُ عِزُّ الْإِسْلَامِ" (١٠) .

"الله، في الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَالْسَّنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (١١) .

"وَجَاهَدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جَهَادِهِ وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَ" (١٢) .

"إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ دُرُّوْهُ الْإِسْلَامِ" (١٣) .

وكان المسلمون الأوائل والجهاد يشكل جزءاً لا ينفصل من حياتهم العملية. فكانوا يرون فيه طريقاً سريعاً ومختصرأً إلى الجنة فينتظر كل واحد منهم فرصته الغالية في الجهاد في سبيل الله ويتسابقون إليه ويستبشرون به.

فهذا حنظلة بن أبي عامر، وقد أنفق شبابه في العمل والكذب، حتى جمع له مبلغاً من المال ليتزوج به، وفي أول ليلة من زواجه، وقد بدأ يقطف ثمرة أتعابه، ويعيش في رباع أحلامه وأمانيه، سمع منادي الجهاد عند الفجر وأطل من نافذة داره، فرأى المسلمين يحثون السير، ويركبون ملبيين داعي الجهاد، فما كان منه إلا أن أسرع للخروج قبل أن يغتسل غسل الجنابة، وحاولت زوجته مقاومته ومنعه واستشارة عواطفه، ودغدغة مشاعره، ولكن رفض البقاء، وأصر على الخروج، فاستشهد في صبيحة يوم عرسه.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم): "إِنَّ صَاحِبَكُمْ -يعني حنظلة- لَتَغْسِلُهُ الْمَلَائِكَةُ". فسألوا أهله: ما شأنه؟! فسئل صاحبته عنه، فقالت: خرج وهو جنباً سمع الهاتفة "(14)" .

وهذا عمرو بن الجموح، وقد قطعت السنين شوطاً كبيراً من عمره وأصيب في إحدى الغزوات في رجله فصار أعرجاً، ولكن رغم ذلك حيفاً سمع منادي الجهاد، ورأى أولاده الأربع يتجهزون للخروج لم تسمح له نفسه بالتخلف رغم معارضة أولاده وزوجته، فخرج مهولاً يقول: أريد أن أطأ بعرجتي الجنة.

فأراد أهله وبنوه حبسه، وقالوا له: إن الله عز وجل قد عذرك. ولم يقنع بمقالتهم، وأقى رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) وقال: إنّ بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة.

فقال (صلى الله عليه وآلها وسلم): أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك. ثم قال لبنيه وقومه: لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقهم الشهادة. فخلوا عنه، وخرج وهو يقول: اللهم أرزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي. وقد كان موقف هذا المجاهد الأعرج من مشاهد معركة "أحد" العظيمة ومن قصصها الرائعة، فقد كان يحمل على الأعداء وهو يقول: أنا والله مشتاق إلى الجنة. وابنه يعود في أثره حتى قتلا جميعاً "(15)" .

والقاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب ولم يك عمره يتجاوز الرابعة عشرة يتقدم إلى عمّه الحسين ليلة عاشوراء، وبعد أن أخبر الإمام أصحابه بالمصير الذي ينتظرون صباح عاشوراء، وهو الشهادة في سبيل الله حيث قال لهم: يا قوم إني غداً أقتلوه وتقتلون كلّكم معه ولا يبقى منكم واحد. فقالوا: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك وشرفنا بالقتل معك.. وهنا تقدم القاسم لعمّه الحسين(عليه السلام) قائلاً: وأنا

فيمن يُقتل؟ وقبل أن يجيئه الإمام سأله: يابني كيف الموت عندك؟ فأجاب القاسم فوراً: يا عم أحلى من العسل "(16)" .

### الظاهرة الغريبة:

ولكن رغم هذا الاهتمام والتّركيز الإسلامي على الجهاد، ومع أننا نمتلك تاريخاً ضخماً من النّضال والتّضحية إلا أنّ الملاحظ أنّ الجهاد في الواقع المتدينين المعاصرین أصبح في سلّة المهملات حتى صار الحديث عن الجهاد عند المتدينين كلاماً مثالياً خيالياً ليس هذا وقته.

والظاهرة الغريبة هو هذا الفصل المتعتمد بين التديّن والجهاد، ففي القضايا المصيرية التي تعيشها الأمة كقضية فلسطين والفلبين ترى أنّ المتدينين لا وجود لهم على ساحة المعركة ولا في جبهات القتال بينما غير المتدينين هم الذين يرفعون لواء المقاومة والنّضال!(17) .

فالشيوعيون لهم منظماتهم العاملة في الساحة، والبعثيون لهم دورهم ونشاطهم في القضية، واللاملتزمون بالدين يبذلون أنفسهم ويضحون من أجل التحرير، ولكن أين در المتدينين؟

أليست قضية فلسطين وأمثالها قضايا إسلامية تهم الدين والأمة، لماذا أخلي المتدينون الساحة للملحدة والمنحرفين؟ - طبعاً ليس كل المناضلين منحرفين، وإنما الأغلب وخاصة القياديون منهم ..

هل نسخت فريضة الجهاد فلم تعد واجبة ولا مطلوبة من المتدينين؟ أم أنّ الأمة أصبحت في غنى عن الجهاد؟

وإلا فلماذا تقاعس المتدينون عن الجهاد، ولماذا أهمل الحديث عن الجهاد وصار حديثاً غير عملي ولا واقعي؟

سنحاول الإجابة على هذه الأسئلة التي تفرض نفسها في الفقرات التالية:  
محاربة سلبيات النفس والرؤى المتخلفة - الجهاد الأكبر:

الرؤى الموجودة في نفس الإنسان والمفاهيم التي ينطوي عليها تفكيره هي التي تحدّد تصرفاته وتوجهه حركاته.. فمثلاً ترى بعض الأثرياء يشتري أرضاً جراء بعيدة عن المناطق السكنية لو عرضت على إنسان آخر لما وافق على شرائها بأبخس ثمن، وحينما تبحث عن السبب الذي دفع الأول إلى شراء تلك الأرض، والسبب الذي جعل الثاني يعرض عن شرائها تجد أنّ السبب هو الرؤى المستقبلية الموجودة عند

الأول حيث يفكّر فيما بعد سنوات حينما يمتد العمران وتصبح تلك الأرض الجراء مهمّة وغالية، وبهذه الرؤية وهذا التفكير اندفع لشراء الأرض بينما الشخص الآخر لم يكن يمتلك هذه الرؤية لذلك أعرض عن شرائها.

وهكذا تتحكّم الرؤى في توجيه الإنسان وتحديد تصرفاته.

والجهاد وهو أخطر تصرف في حياة الإنسان يحتاج إلى رؤية معينة تدفع الإنسان إليه، وأمّتنا الإسلامية في الماضي كانت تمتلك تلك الرؤى المطلوبة، ولذلك اندفعت في طريق الجهاد بقوّة وشوق، أما المتدينون حالياً فهم غالباً ليس فقط يفقدون تلك الرؤى الجهادية، وإنما تكبّل نفوسهم رؤى مضادة سلبيات متخلفة هي التي أوجدت بينهم وبين jihad هذا البون الشاسع والهوة الكبيرة.

ومن هذا المنطلق فإنّ الإسلام يرتكز أولاً على هذا الجانب، ويرى أنّ مكافحة سلبيات النفس وكنس الرؤى المتخلفة من داخل الإنسان وزرع مفاهيم jihad والنضال في روح الفرد، هذا العمل هو jihad الأكبر وهو الذي يجعل الإنسان على أتم الاستعداد للجهاد والتضحية والفداء في كل لحظة وحينما تدعو الحاجة إلى ذلك.

يقول الإمام علي (عليه السلام): إنّ رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بعث سرية -فرقة صغيرة من الجيش- فلماً رجعوا، قال: مرحباً بقوم قروا jihad الأصغر وبقي عليهم jihad الأكبر. قيل: يا رسول الله وما jihad الأكبر؟ قال: jihad النفس. وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): "إنّ أفضل jihad من جاهد نفسه التي بين جنبيه" (18).

### السلبيات والرؤى المتخلفة:

والآن ما هي السليات التي تعشش في نفس الإنسان فتقعد به عن jihad، وما هي الرؤى المتخلفة التي تترسّب في تفكير الفرد فتمنعه عن الانطلاق وتحرمه من شرف النضال والتضحية، وكيف يعالج الإسلام هذه المشكلة فيقاوم تلك السلبيات بنصف تلك الرؤى، وما هي المفاهيم والرؤى البديلة التي يلقيح الإسلام بها نفسية الفرد؟

نستطيع أن نلخص الجواب فيما يلي:

- ١- الانشداد للحياة وحبّ الراحة: فكلّ إنسان بطبيعته يحب الحياة ويتشبّث بها ويبحث عن الراحة ويحافظ عليها. والجهاد يسلب من الإنسان راحته ويعرضه لفقدان حياته، وهنا تبدأ المعركة وينشب الصراع بين نفس الإنسان الراغبة في الحياة

والرّاحة، وبين روح الالتزام بفرضية الجهاد الدّاعية إلى الفداء والتّضحية، فإذا كان الإنسان عميق الإيمان متّشبعاً برؤى الإسلام تغلب على سلبيات نفسه، وسارع إلى التّضحية والجهاد، وإلاّ كان من المتخلّفين المتقاعسين.

وبصراحة موضوعية يعالج الدين هذه المشكلة فيتحدث مع الإنسان بمنطق واقعي صارخ: أيّها الإنسان المتقاعس عن jihad خوفاً من الموت واحتفاظاً بالرّاحة والحياة.. هل أنت ضامن لنفسك استمرار هذه الرّاحة ودّوام هذه الحياة؟ ألا تتوقع مرضًا يسلبك راحتكم أو حدثاً يتصادر حياتكم؟ وهل أنت آمن من زيارة ملك الموت؟ وإذا كان الجواب بالتأكيد كلاً، فلماذا تفوّت على نفسك الفرصة وترضى بموته رخيصة دون أيّ ثمن أو مقابل، بينما باستطاعتك أن تستفيد من موتك وتربح عزّاً وكراهةً وثواباً جزيلًا؟

ومن ناحية أخرى، ألسْت تؤمن بالآخرة، وأنّ هناك جنةً وناراً؟ فلماذا تعرّض نفسك للنّار بتقاعسك وتخسر الجنة العظيمة الخالدة من أجل الاحتفاظ ببضعة أيام أو سنوات في هذه الحياة المرهقة؟

يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ إِنْفِرُوا فِي سَيِّلِ اللَّهِ إِنَّا قَلَّتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ. إِلَّا تَنْفِرُوا أَيُّدُّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيُسْتَبْدَلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} (١٩).

ويقول الإمام في [نهجه] الخالد: "إن الموت طالب حيث لا يفوته المقيم، ولما يعجزه الهارب. إن أكرم الموت القتل! والذى نفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأْلَفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهُونُ عَلَيْهِ مِنْ مِيَتَةِ عَلَيِّ الْفَرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ" (٢٠).

وفي خطبة أخرى يقول (عليه السلام): "وَأَيْمَ اللَّهُ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لَا تَسْلُمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ... إِنَّ فِي الْفَرَارِ مُوجَدَةً - غَضَبَ - اللَّهُ، وَالدَّلَّالُ الْلَّازِمُ، وَالْعَارُ الْبَاقِي. وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرِ مُزِيدٍ فِي عُمُرِهِ، وَلَا مَحْجُوزٌ بَيْنَ يَوْمَيْهِ مِنَ الرَّاهِنِ إِلَى اللَّهِ كَالظَّمَآنِ يَرِدُ الْمَاءَ؟ الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِيِّ!" (٢١).

ويقول الإمام الحسين بن علي(عليه السلام):

لَئِنْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدُ نَفِيسَةً  
فَدَارُ تَوَابِ اللَّهِ أَعْلَى وَأَنْبِلُ  
وَإِنْ كَانَتِ الْأَبْدَانُ لِلْمَوْتِ أَنْشَأَتْ  
فَقَتْلُ امْرِيَّهِ بِالسَّيْفِ فِي أَلَّهِ أَفْضَلُ (٢٢).

٢- الفهم الخاطئ للحياة والدين: فأكثر الناس يفهمون الحياة على أنها أكل وشرب ولدّة ونوم فقط، وعلى الإنسان أن يوفر هذه الأشياء لنفسه، أمّا العزّ والكرامة والشرف فليست أشياء ضرورية إن توفّرت بالمجان، وإنّما في الأكل واللدّة والراحة نعم الكفاية.

ويقول شاعرهم:

إِنَّمَا الدُّنْيَا شرابٌ وطعامٌ وَمَنَامٌ  
فَإِذَا فَاتَكَ هَذَا فَعَلَى الدُّنْيَا السَّلَامُ

أمّا الإنسان المؤمن الواعي فيفهم الحياة على أنها عزّ وكراهة وشرف، فإن لم تتوافر هذه الأشياء فلا قيمة للحياة إذًا في أوحال الذل والإهانة والخنوع. يقول الإمام (عليه السلام) في [نهجه] العظيم: "الْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ" (23).

ويقول شبله الإمام الحسين الشّائر (عليه السلام): "إِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَماً" (24).

وهناك قطاع آخر من الناس يعانون من سوء الفهم لموضوع الجهاد في الدين، فيقولون: إنّ ظروف jihad غير متوفّرة حيث لا يوجد إمام معصوم يأذن للجهاد.. وهذه مغالطة يكتشفها من له أدنى إطلاع على فقه jihad في الإسلام، فالجهاد يقسمه الفقهاء إلى قسمين:

أ - جهاد الغزو في سبيل الله لنشر الإسلام في المجتمعات الأخرى وإعلاء كلمة الله في الأرض، وهذا jihad هو الذي يشترط فيه قيادة الإمام أو إذنه، ويكون وجوبه كفائياً إذا قامت به فئة من الأمة سقط الوجوب عن الباقي، يقول الإمام علي (عليه السلام) في هذا المجال: "لَا يَخْرُجُ الْمُسْلِمُ فِي الْجَهَادِ مَعَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ عَلَى الْحُكْمِ - يعني القيادة غير الشرعية - ولا ينفذ في القيء أمر الله عزّ وجلّ - يعني ليست قيادة عادلة -" (25).

ب - جهاد الدفاع عن الدين أو عن الوطن أو عن حقوق الشعب أو عن النفس وأموال والعرض أو عن المحروميين والمظلومين. وهذا النّضال مشروع بل واجب على كلّ فرد ولا يحتاج إلى إذن الإمام أو المرجع، وإذا قُتل المجاهد عن أحد هذه الأهداف السّامية اعتبر شهيداً عند الله.

يقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): "مَنْ قُتِلَ دُونَ عِيَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ - حَقُوقِهِ - فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" (26).

وقد أفرد الحر العاملي في موسوعته الحديبية [وسائل الشيعة] بباباً في كتاب "الجهاد" هو الباب (رقم: 46) تحت عنوان "باب جواز قتال المحارب واللص والظالم والدفاع عن النفس والحرير والمال وإن قل، وإن خاف القتل".

وقد أثبت في ذلك الباب سبعة عشر حديثاً، وأخرها حديث يقول: كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: "مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ لَصٌ فَلِيُبْدِرْهُ بِالضَّرْبَةِ فَمَا تَبَعَهُ مِنْ إِثْمٍ فَأَنَا شَرِيكُهُ فِيهِ" (27).

وفي [نهج البلاغة] نجد الإمام يعاتب قوماً ويوبخهم لأنهم لم يقاوموا المعتدين عليهم من جيش معاوية، يقول (عليه السلام): "تُمُّ انصَرُفُوا وَافْرِينَ، مَا نَأَلَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمًا، وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمًا" (28)، ويقول (عليه السلام): "فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا حِينَ صَرَّتُمْ غَرَضاً يُرْمِي: يُغَارِ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ، وَتَعْزَزُونَ وَلَا تَغْزُونَ" (29). ويقول أستاذ الفقهاء الشيخ محمد حسن النجفي صاحب [الجوهر]: "تلخص مما ذكرنا أنَّ الجهاد على أقسام:

أحدها - أن يكون ابتداء من المسلمين للدعاء إلى الإسلام، وهذا هو المشروط بالشروط المذبورة. والذي وجوبه كفائي.

الثاني - أن يدهم المسلمين عدو من الكفار يخشى منه على البيضة، أو يريد الاستيلاء على بلادهم، وأسرهم وسبفهم وأخذ أموالهم. وهذا واجب على الحر والعبد، والذكر والأنثى، والسليم والمريض، والأعمى والأعرج وغيرهم، إن احتج إليهم. ولا يتوقف على حضور الإمام (عليه السلام) ولا إذنه، ولا يختص بهم قصدهم من المسلمين، بل يجب على من علم بالحال التهوض إذا لم يعلم قدرة المقصودين على المقاومة، ويتأكد الوجوب على الأقربين" (30).

ـ الأعذار المزيفة: وهناك قسم من الناس يؤمن بضرورة العمل والجهاد، ولكنه يبرر جموده وتقادمه بأعذار مزيفة، فتارة يحتاج بإتمام دراسته أو بمسؤوليته التجارية، وأخرى يتعدّر بعائالته وأولاده، وثالثة يلقي اللوم على الظروف الحرجة... وهنا يأتي القرآن الكريم لينسف هذه الأعذار بقوّة ولি�شجب التعلّل بها، ويهدّد أصحابها بسوء المصير.. فيقول الله تعالى: { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ }

وَأَزَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالَ افْتَرَقْتُمُوهَا وَتَجَارَةً تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرَضُونَهَا  
أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا  
يَهْدِي إِلَّا قَوْمًا أَفَاسِقَينَ {31} .

وحينما أبْتلى الإمام علي (عليه السلام) بأصحاب متلازمة يبررون تقاعسهم بتغيير الظروف والآحوال خطب فيهم خطبة عنيفة جاء فيها: "إِذَا أَمْرَتُكُمْ بِالسَّيِّئِ إِلَيْهِمْ فِي  
أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ: هَذِهِ حَمَارَةُ الْقَيْظِ، أَمْهَلْنَا يُسْبِخُ عَنَّا الْحَرُّ! وَإِذَا أَمْرَتُكُمْ بِالسَّيِّئِ  
إِلَيْهِمْ فِي الشَّتَاءِ قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبَرَةُ الْقَرْبِ أَمْهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرَدُ، كُلُّ هَذَا فَرَارًا مِنَ  
الْحَرِّ وَالْقَرْبِ، إِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرْبِ تَفْرُونَ، فَأَنْتُمْ وَاللَّهُ مِنَ السَّيِّفِ أَفْرُ!! يَا أَشْبَاهَ  
الرِّجَالِ وَلَا رِجَالًا! حُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَاتِ الْحِجَالِ، لَوَدَدْتُ أَيِّ لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ  
أَعْرِفُكُمْ" (32) .

4- الثورة الكلامية: وبعض الناس يكتفي من الجهاد بحماسة الكلام وثورية الكتابة والخطابة، ولكنه حين تطلب منه تضحية عملية ونضال حقيقي ومهمة جهادية تراه ينهرم ويقوّي بعيداً بعيداً.

في هذا المجال يقول الإمام في [نهايته] العادل مخاطباً بعض أصحابه المتصفين بهذه الصفة الخادعة: "أَيَّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ الْمُخْتَلَفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلَامُكُمْ يُوَهِي  
الصَّمَ الصَّلَابَ، وَفَعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيْكُمُ الْأَعْدَاءُ! تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَكَيْتَ، إِذَا  
جَاءَ الْقَتَالُ قُلْتُمْ: حَيْدِ حَيَادٍ -يعني بعيداً بعيداً- (33) .  
بِمَاذا وَمَاذا الْجَهَاد؟

في مواجهة الاستعمار والظلم والانحراف يحتاج الإسلام إلى مختلف الطاقات والأسلحة، فالإعلام سلاح والقلم سلاح، والنشاط سلاح وأسلال سلاح والتحرّك الاجتماعي سلاح... والمعركة تتطلب كل هذه الأسلحة، ولذلك يقرن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) مال خديجة بسيف على كسبين أساسين لانتصار الإسلام، ودائماً يحتث القرآن الكريم على الجهاد بمال والنفس، ويقول الإمام علي (عليه السلام): "الله، الله، في الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ الله  
" (34) .

أماًً أهداف الجهاد في الإسلام فيمكن استعراضها بإيجاز:

1- نشر الإسلام في العالم، وإنقاذ البشرية من حكومات الفساد والكفر، يقول القرآن الحكيم: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} (35) .

2- للدفاع عن الدين والوطن والنفس والحقوق: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ". (36)

3- للإصلاح داخل الأمة، يقول الإمام (عليه السلام): "لَا قاتَلَهُمْ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قاتَلُوهُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ" (37).

4- للدفاع عن المظلومين والمحرومين، يقول تعالى: { وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ } (38).

ويقول الإمام (عليه السلام): "فَوَاللهِ لَوْلَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ بِلَا جُرْمٍ جَرَهُ، لَحَلَّ لِي قُتْلَ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلَّهُ" (39).

---

(1) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 27).

(2) سورة التوبة: (الآلية: 73).

(3) سورة التوبة: (الآلية: 41).

(4) سورة النساء: (الآلية: 95).

(5) سورة التوبة: (الآلية: 12).

(6) سورة الأنفال: (الآلية: 39).

(7) سورة آل عمران: (الآلية: 169).

(8) [الكافي]: الكليني الرازي: (ج 5/ ص 53).

(9) [الكافي]: الكليني الرازي: (ج 5/ ص 3).

(10) [نهج البلاغة]: (قصر الحكم رقم: 252).

(11) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 47).

(12) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 31).

(13) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 110).

(14) [السيرة النبوية]: ابن هشام (ج 3/ ص 25)، دار الجيل - بيروت.

(15) [سيد المرسلين]: الشيخ جعفر السبحاني (ج 2/ ص 174)، الطبعة الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

(16) [نفس المهموم]: الشيخ عباس القمي (ص 230)، مكتبة بصيرتي - قم.

- (17) كان هذا الكلام منطبقاً على أوضاع الفترة السابقة قبل انبثاق الصّحوة الإسلامية المباركة، أمّا الآن فتضحيات وجهاد الحركات الإسلامية هي مبعث الأمل بالتحرير والاستقلال كالمقاومة الإسلامية في فلسطين ولبنان وغيرهما.
- (18) [تفصيل وسائل الشّيعة]: الحر العاملي (ج 15/ص 163) مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم.
- (19) سورة التوبة: (الآية: 38-39).
- (20) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 123).
- (21) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 124).
- (22) [حياة الامام الحسين]: باقر شريف القرشي (ج 3/ص 61)، الطبعة الأولى (1976م)، مطبعة الآداب - النجف.
- (23) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 51).
- (24) [بحار الأنوار]: محمد باقر المجلسي (ج 44/ص 192).
- (25) [الخصال]: الشيخ الصدوق (ج 2/ص 625).
- (26) [تفصيل وسائل الشّيعة]: الحر العاملي (ج 15/ص 120-121)، مؤسسة آل البيت - قم.
- (27) [تفصيل وسائل الشّيعة]: الحر العاملي (ج 15/ص 123).
- (28) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 27).
- (29) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 27).
- (30) [جواهر الكلام]: الشيخ محمد حسن النجفي (ج 21/ص 18).
- (31) سورة التّوبه: (الآية: 24).
- (32) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 27).
- (33) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 29).
- (34) [نهج البلاغة]: (الكتاب رقم: 47).
- (35) سورة الأنفال: (الآية: 39).
- (36) [تفصيل وسائل الشّيعة]: الحر العاملي (ج 15/ص 120-121).
- (37) [كشف الغمة]: علي بن عيسى الأربلي (ج 1/ص 121).
- (38) سورة النساء: (الآية: 75).
- (39) [نهج البلاغة]: (الخطبة رقم: 178).

## المصادر

### القرآن الكريم

[الحياة]: جريدة يومية تصدر في لندن (ع: 15 أغسطس 1997).

[نهج البلاغة]..... الشريف الرضي

[خصائص أمير المؤمنين علي]..... الحافظ النسائي

[بحار الأنوار]..... الشيخ محمد باقر المجلسي

[ذلكم الإمام علي]..... السيد هادي المدرسي

[مجمع البيان في تفسير القرآن]..... الفضل بن الحسن الطبرسي

[علي من المهد إلى اللحد]..... السيد محمد كاظم القزويني

[الكامل في التاريخ]..... ابن الأثير

[ترجمة الإمام علي بن أبي طالب] : (من تاريخ مدينة دمشق) .....  
الحافظ ابن عساكر

[نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة]..... الشيخ محمد باقر المحمودي

[مصادر نهج البلاغة وأسانيد]..... السيد عبد الزهراء الخطيب

[المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم]..... محمد فؤاد عبد الباقي

[المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة]..... كاظم محمد بن محمد دشتي

[الإلهيات]..... الشيخ جعفر السبحاني

[الكافي]..... الكليني الرازي

[السنن الكبرى]..... الحافظ البيهقي

[السبيل إلى إنهاض المسلمين]..... السيد محمد الشيرازي

[تاريخ الأمم والمملوک]..... محمد بن جریر الطبری

[تاريخ الخلفاء]..... جلال الدين السيوطي

[غرر الحكم ودرر الكلم]..... عبد الواحد الآمدي

[شرح نهج البلاغة]..... ابن أبي الحديد

[اللهوف في قتل الطفوف]..... السيد ابن طاووس

[صحيح مسلم]..... بن مسلم القشيري

[حياة الإمام الحسين بن علي]..... باقر شريف القرشي

[السيرة النبوية]..... ابن هشام

[سيد المرسلين]..... الشيخ جعفر السبحاني

- [نفس المهموم]..... الشیخ عباس القمی  
[تفصیل وسائل الشیعة]..... الحر العاملي  
[جوواهر الكلام]..... الشیخ محمد النجفی  
[کشف الغمة]..... علی بن عیسی الأربلی

## الفهرس

7	مقدمة الناشر للطبعة الرابعة
11	المقدمة
23	الامام علی(ع) و[نهج البلاغة]
26	الامام شاباً
29	وفي مرحلة الكهولة
32	المحطة الأخيرة
33	ماذا عن [نهج البلاغة]
37	أهمية [نهج البلاغة]
38	حملة مغرضة
43	العدالة الاجتماعية في [نهج البلاغة]
45	العدالة الكوئية
48	العدالة الاجتماعية
50	صور الظلم في المجتمع
50	الحاجة والحرمان
54	عدم تكافؤ الفرص
57	الحصانة أم القانون
59	الاعتداء على حقوق الآخرين
60	موقفنا من الظلم
63	الحق في [نهج البلاغة]
68	ما هو مقياس الحق
72	مقياس الحق
75	البحث عن الحق وأتباعه
78	مسؤوليتنا تجاه الحق

الحرية في [نهج البلاغة].....	81
عبودية الكون.....	83
حرية الانسان.....	85
القضاء والقدر.....	88
الوراثة وال التربية.....	91
مظاهر الحرية.....	93
لماذا الحدود والعقوبات.....	101
كيف يستعبد الانسان.....	103
المسؤولية في [نهج البلاغة].....	109
واقع الأمة المأساوي.....	111
أولاً- موقف اللامبالاة.....	112
ثانياً - الاهتمام السُّلبي.....	115
ثالثاً - موقف المسؤولية.....	116
الخلاصة.....	126
الجهاد في [نهج البلاغة].....	129
أهمية الجهاد.....	131
الظاهرة الغريبة.....	137
محاربة سلبيات النفس والرؤى المتخلفة - الجهاد الأكبر.....	139
السلبيات والرؤى المتخلفة.....	141
بماذا و لماذا الجهاد.....	150
المصادر.....	153
الفهرس.....	156